جَنْيُ الفَوَائد
بمَعرفَة مُتونِ العَقائد

مَتْنُ عقيدة الإمام أبي حنيفة النُّعمان

ومَتْنُ عقيدة الإمام أبي جعفر الطّحاوي

ومَتنُ عقيدة الإمام أبي حامد الغزالي

إعداد وتقديم

محمد عوض

جَنْيُ الفوائِد

بِمَعْرفة مُتونِ العقائد

الطبعة الثانية

1434/12/14 هجري
2013/10/19 ميلادي

الدهيشة - بيت لحم
فلسطين

جَنْيُ الفوائِد بِمَعْرفة مُتونِ العقائد

مقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمدُ لله الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وهوَ السَّميعُ البَصيرُ ﴾، وأشهدُ أنْ لا إلـه إلّا الله، شهادة خالية مِن التَّشْبيه والتّجسيم والتّعطيل، وأشهد أنّ محمداً رسول الله إلى الإنس والجِنّ أجمعين، والسلامُ على صحابة رسول الله ﷺ ومَن تبعهم في المُعتقد إلى يوم الدين.

أما بعد: لقد ابتُلِيَت الأُمّة الإسلامية بفِرَقٍ وجماعاتٍ زائغة عن الطريق المستقيم الذي بَيّنَه اللهُ لنا في كتابه الكريم، ورسولُه عليه الصلاة والسلام في هَدْيه القويم. قال الرسول عليه الصلاة والسلام: « إنّ أُمَّتي ستفترقُ على ثنتين وسبعين فِرْقة كُلها في النّار إلا واحدة وهي الجماعة»[1]، ورواه الإمام التِّرمِذي بلفظ: « ... وتفترق أُمَّتي على ثلاث وسبعين مِلّة، كلُّهم في النار إلاّ مِلة واحدة، قالوا: ومَن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي »[2]. والمقصود بالافتراق في الحديث أعلاه الإختلاف في أصول العقيدة وليس في الأحكام الفِقهيّة. وكلُّ فرقة مِن الفِرَقِ الإسلامية ادّعت أنها على الحقّ، وغيرها على الضلالة، والحقيقة هي أنّ فرقة واحدة فقط على الحقّ، وهي جماعة المسلمين، كما جاء في الحديث الآنف الذِكْر، وجماعة المسلمين لمْ تخرج عمّا كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وباقي الفِرَق قد انحرفت عمّا كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان رضوان الله عليهم.

ومعرفة الفِرْقة الناجيّة مِن الفِرق الهالِكة سهلٌ يسير، لِمَن أرادَ اللهُ به خيراً، وصعبٌ عسير لِمَن أرادَ اللهُ به شرّاً، واللهُ أعلم. فكُلُّ مُعتقد وافق قولَ الله وقول رسوله وأصحابه فهو حقّ، وكلّ اعتقاد خالف قولَ الله وقول رسوله عليه الصلاة والسلام وقول أصحابه فهو ضلال، ومردود على صاحبه.

وفي زمننا المُعاصر اجتاحت البلاد العربية بشكل عام، وفلسطين بشكل خاص منذ حوالي 20 سنة، بِدْعَة التَّجْسيم، أي نِسبة الجِسْمِيّة والأعضاء والمكان إلى الله الخالق، وذلك تحت ستار عقيدة السَّلف[3]، وكأنّ سَلَفَ هذه الأمة كانوا مُجَسِّمَة[4]، حاشاهم. لهذا ارتأيت مِن باب دَرءِ فساد المُفسِدين، وبيان زيف ادعاءاتِ المُجَسِّمين أنْ أجمع ما وصل إلينا مِن عقائد سلف هذه الأمة الصالح في كُتَيِّبٍ واحد لِيَطّلِع

---

[1] رواه ابن ماجه في سننه بسند **صحيح**، أنظر "سنن ابن ماجه"، رقم الحديث **3993** بتعليق الشيخ محمد ناصر الدين **الألباني**، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض. ورواه أبو داود في سننه بسند حسن، **أنظر** " سنن أبي داود"، كتاب السُّنة، باب شرح السُّنة ، رقم الحديث **4597** بتعليق محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1 ، الرياض.

[2] أنظر: "سنن التِرمذي"، كتاب الإيمان (رقم 38) : باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم الحديث **2641** بتعليق **الألباني**، قال الإمام الترمذي عقب الحديث: **حسن غريب، وصححه الألباني**، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض.

[3] **السَّلَف** هم أوائل هذه الأمَّة مِن القرون الهجرية الثلاثة الأولى، وتشمل عصر الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين، رحمهم الله أجمعين. **ملاحظة**: ليس كلّ مَن عاش في القرون الثلاثة الأولى يُعتبر مِن السلف الصالح، بل هناك أيضا سَلفٌ طالح، كالمُعتزلة والقدَريّة والمُشَبِّهة والمُجَسِّمَة، وهؤلاء قد انحرفوا عن عقيدة الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة رضوان الله عليهم.

[4] **المُجَسِّمَة** هم الذين يعتقدون بوجود أعضاءٍ لله كاليد والعينين والوجه والساق والقَدَم، ومركز المُجَسِّمة في عصرنا هذا المملكة العربية السعودية، وفِرْقة "الوَهابيّة" المُعاصرة، ومركزها السعودية، يُطلق أتباعها على أنفسهم اسم " **السَلفِيَّة** " ليوهموا عَوامّ الناس أنهم على عقيدة الصحابة رضوان الله عليهم، وهم في الحقيقة مُجَسِّمة، ينشرون عقائدهم بدعم مادي مِن السعودية. وعقيدة التجسيم جاءت مِن قِبَلِ الشيعة، **فأوّل مَن قال بأنّ اللهَ جسمٌ هو هشام بن الحَكَم الشيعي** (ت 187 هـ)، **ذَكَرَ ذلك إبن تيمية في كتابه "مِنهاج السُّنة"، جزء 1 / ص 72 – 73 ، وجزء 2 / ص 220 بتحقيق د. محمد رشاد سالم، ط 1، 1986.**

عليه طلاب العِلم وعوامّ المسلمين ليكونوا على بَيِّنة مِن الأمر.

وحسب عِلمي، أقدَمُ كتاب وصل إلينا في عِلم العقيدة هو كتاب "الفِقه الأكْبَر" للإمام الفقيه المُجتهد أبي حنيفة النُّعمان (ت 150 هـ) رَحِمَهُ اللهُ. **وارتأيت أن أضم لهذا الكتاب رسالة "عقيدة أهل السُّنّة والجماعة" للإمام الحافظ والفقيه المُحَدِّث أبي جعفر الطّحَاوي** (ت 321 هـ)، رَحِمَهُ اللهُ، **التي أجْمَعَ عُلماء أهل السُّنّة على صحتها، وكذلك عقيدة الإمام أبي حامد الغزالي** (ت 505 هـ) رَحِمَهُ اللهُ. **وأود أنْ أنوِّه إلى أنه لا فرق بَيْنَ عقيدة كلّ مِن أبي حنيفة وأبي جعفر الطحاوي وأبي حامد الغزالي، ففي موضع يُسهب الإمام أبو حنيفة في الشرح، على سبيل المثال عندما يتكلم عن صفات الله الذاتية والفِعلية، بينما يوجز فيه الإمام أبو جعفر الطحاوي، والعكس كذلك، وكذلك الأمر بالنسبة للإمام أبي حامد الغزالي.**

مَتْنُ "الفِقه الأكبر" في هذا الكُتيِّب كما هو في كتاب "العالِمُ والمُتَعَلِّم"[5] للإمام أبي حنيفة النُّعمان، بتعليق الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكَوْثَري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى، القاهرة.

وقارنت مَتْنَ "الفِقه الأكبَر" مِن الكتاب المذكور أعلاه بمتن كتاب "شرح الفقه الأكبر" للإمام مُلّا علي بن سلطان القاري (ت 1014 هـ)**، طبعة دار الكُتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت 1984، وكذلك بمَتن كتاب "شرح الفِقه الأكبر"، أيضا للإمام مُلّا علي، طبعة دار النفائس، الطبعة الثانية، دمشق / بيروت 2009، فوجدت اختلافات يسيرة بين طبعة المكتبة الأزهرية للتراث وطبعة دار النفائس، والاختلافات عبارة عن زيادة وحذف، بسبب اختلاف المخطوطات الأصلية التي أعتُمِد عليها، ولكنها لا تُخِلّ بالمعنى، ولقد أشرت إلى بعضٍ منها في موضعه في الحواشي.**

وأما مَتْنُ رسالة "العقيدة الطَّحاويّة" فهو كما في كتاب "إظهار العقيدة السُّنِّيّة بشرح العقيدة الطّحَاويّة"[6] للشيخ المُحَدِّث عبدالله الهَرَري، الناشر: شركة دار المشاريع للنشر والطباعة والتوزيع،

---

[5] ويشمل هذا الكتاب مجموعة رسائل الإمام أبي حنيفة: الفقه الأبسط، والفقه الأكبر، وَوَصِيّة الإمام أبي حنيفة في التوحيد، ورسالة أبي حنيفة إلى عثمان البَتّي عالم أهل البصرة.

[6] وَأوَدُّ هنا أن أُحذِّر مِن كتاب "شرح العقيدة الطحاويّة" لعلي بن علي الدمشقي، المشهور بابن أبي العِز الحنفي، فابن أبي العز (ت 792 هـ) شَرَحَ العقيدة الطحاوية بأفكار شيخه ابن تيمية ! ويَحْرِصُ مُجَسِّمَة العَصْر - كالوهابيين وغيرهم- على طبع هذا الشرح ونشره لأنه يوافق مَشربهم. وفيما يلي بعضٌ مِن العقائد الفاسدة التي أثبتها الشارح في كتابه (الطبعة التاسعة، بتحقيق الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت 1988) **:**

1. لقد نَسَبَ ابن أبي العِز في شرحه على العقيدة الطحاوية **الحَدّ** لله الخالق (ص 218- 219)، وفي ص 221 نفى الحدّ عن الجهات كمخلوق! مع أنّ الإمام الطحاوي نَزّهَ اللهَ عن الحدّ، حيث قال في رسالة عقيدة أهل السُّنّة: « **وتعالى** - أي تنزّه الله- **عن الحدود والغايات** - أي النهايات- **والأركان**- أي الجوانب- **والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات** ».

2. وأثبت ابن أبي العز حوادث لا أول لها (ص 129)، وهذا القول يؤدي إلى عقيدة قِدَم العالم، وهذه مذهب الفلاسفة.

3. وقال ابن أبي العز بقيام الحوادث بذات الله (ص 177)، أي أنّ ذاتَ الله مَحَلٌ للحوادث والتَّغَيُّرات - سبحانه-.

4. وقال ابن أبي العز عن كلام الله أنه صوت، وأنّ نوعه قديم وأفراده حادث، حيث قال (ص 169): [وتاسعها: إنّ اللهَ تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يُسمع، وأنّ نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعيّن قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسُّنة]، وكلام أبي العز هذا **كَذِبٌ** على أئمة الحديث والسُّنة، فالإمام أبو حنيفة على سبيل المثال نفى أن يكون كلام الله صوتاً كما في كتابه "الفقه الأكبر".

5. ولَمّحَ ابن أبي العز إلى فناء النار وادعى أنّ هذا هو قول "جماعة مِن السلف والخلف" (ص 424، وكذلك ص 427: القول التاسع، وص 430: أول سطر)، مع أنّ الإمام الطحاوي قال في رسالة عقيدة أهل السُّنّة: « والجنّة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان». ولقد رَدّ الشيخ الألباني ادعاء ابن أبي العز وبيّنَ بُطلانه في تعليقه على شرح الطحاوية (أنظر الحاشية رقم 591 ، ص 424، والحاشية رقم 601 ، ص 428)، - وبفناء النار قال ابن تيمية وابن القَيِّم الجَوْزِيّة ورأس الجَهْمِيّة جَهْم بن صفوان، مُخالفين بذلك نصوص القرآن الكريم في دوام العذاب في النارِ، وهذا يقضي بأبَديّة النار - .

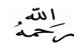
كما أودُّ أنْ أُحَذِّر مِن كتاب "صحيح شرح العقيدة الطحاوية" لحسن بن علي السّقاف، وفي أعلى غلاف الكتاب مكتوبٌ : " مِن فِكر آل البيت"، والحقيقة هي أنّ الأفكار التي في هذا الكتاب مِن أفكار المُعتزلة والشيعة، فالشيخ حسن السَّقاف شيعي في عِباءة شيخ سُنّي. في كتابه "صحيح شرح العقيدة الطحاوية"، يُنكر السَّقاف: رؤية الله في الآخرة، وأنّ اللهَ خالقُ أفعال العباد، وأنّ لله صفاتً، والصراط، وغير ←

الطبعة الرابعة، بيروت 2007.
ومَتنُ عقيد الإمام الغزالي في هذا الكُتَيِّب كما هو في كتاب "شرح عقيدة الإمام الغزالي" للشيخ أبي العباس أحمد بن زَرّوق الفاسي (ت 899 هـ)، بتحقيق د. محمد عبدالقادر نصار، طبعة دارة الكَرز، الطبعة الأولى، القاهرة 2007. وعقيدة الإمام الغزالي يجدها القارئ كذلك في كتاب "إحياء علوم الدين" له.
في مواضع قليلة علّقتُ في الحواشي على بعض نصوص المتون المذكورة آنفاً ليَتّضِحَ معناها للقارئ غير المُطّلِع على مُصطلحات علماء التوحيد، هذا مِن ناحية، والناحية الأخرى لزيادة المعرفة لدى القارئ خصوصاً عن عقائد بعض الفِرَق الإسلامية. وأسْمَيتُ الكُتَيِّب "جَنْيُ الفوائد بمعرفة متون العقائد"، وأسألُ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أن ينفع بهذا العمل المسلمين.

محمد عوض
الدهيشة ـ بيت لحم
فلسطين

←ذلك. ويستشهد السّقاف في العقائد بالإباضِيّة (فرقة مِن الخوارج)، والمُعتزلة والزَيديّة والشيعة الإماميّة. وللعِلم: الزَيديّة والشيعة الإماميّة أخذوا بعقائد المعتزلة، والإباضية يوافقونهم في أنّ كلامَ الله مخلوق وفي نفي صفات الله وبخلود عُصاة المُوَحِّدين في النار. وللسّقاف أيضا كتاب "مجموع رسائل السّقاف"، فيه يكشف عن بعض عقائده الشاذة.

ترجمة مختصرة للإمام أبي حنيفة النعمان[7]



هو النُّعمان بن ثابت بن زوطاه، أبو حنيفة الكوفي، أحدُ الأئمة الأربعة عند أهل السُّنَّة، ولد عام 80 هـ بالكوفة ونشأ فيها، وتوفي في بغداد عام 150 هـ، تلقى الفِقه عن الإمام حماد بن أبي سليمان، وكان ذلك في أوائل المائة الثانية، وأخذ العلم عن ثلاثة وتسعين مِن التابعين، كعطاء بن رباح ونافع مولى عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان مِن أكبر شيوخه الإمام عامر بن شُرَحبيل الشَّعْبي (ت 103هـ) رحمه الله، **والإمام الشَّعْبي، وهو مِن كبار التّابعين، لقي أكثر مِن خمسمائة مِن الصحابة** رضوان الله عليهم، **وعنهم أخذ علمه، فقد روى عن أم المؤمنين عائشة وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر** رضوان الله عليهم **أجمعين، وعن غيرهم.**

كان ورعا تقيا، قال الإمام عبدالله بن المبارك (ت 181 هـ)**: قلت لسفيان الثوري** (ت 161هـ)**: يا أبا عبدالله، ما أبعدَ أبا حنيفة عن الغيبة، ما سمعته يغتاب عدواً له قط، فقال سفيان: هو أعقل مِن أن يُسلط على حسناته ما يُذهبها.**

أرادهُ الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور على القضاء ببغداد فأبى، فحَلفَ عليه ليَفعلن، فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل، فحبسه المنصور إلى أن مات سنة 150 هـ، رحمه الله. ومن أشهر تلاميذه الإمام القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري (ت 183 هـ) **، والإمام الفقيه محمد بن الحسن الشيباني** (ت 189 هـ)**.**

له العديد مِن المصنفات، منها: "المُسْنَد" في الحديث، جمعه تلاميذه، و "المخارج" رواه عنه تلميذه القاضي أبو يوسُف، و "العالِمُ والمُتَعلِّم"، رواه عنه أبو مقاتل حفص بن سَلْم السَمَرقندي (ت 208 هـ)**، و "الفقه الأكبر" رواه عنه ابنه حَمّاد بن أبي حنيفة. وموضوع "الفقه الأكبر"، وكذلك "الوصية في التوحيد" للإمام أبي حنيفة، هو عقيدة أهل السُّنّة والجَماعة.**

---

[7] **المراجع: " تاريخ التّشريع الإسلامي "** للشيخ محمد الخضَري بك ، الناشر: دار الفكر، ط 7، بيروت 1981. و " **إشارات المرام مِن عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين** " للإمام كمال الدين أحمد البياضي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط 1 ، بيروت 2007. و " **شرح الفقه الأكبر**" للإمام مُلّا علي القاري (ت 1014 هـ)، بتحقيق الشيخ مروان محمد الشّعَّار، الناشر: دار النفائس، ط 2، دمشق / بيروت 2009. و " **العالِم والمُتَعَلِّم** " للإمام أبي حنيفة، بتعليق الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكَوْثري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى، القاهرة.

مَتْنُ الفِقه الأكْبَر

للإمام أبي حنيفة النُّعمان
المتوفي سنة 150 هـ رَحِمَهُ اللهُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

[أصلُ التوحيدِ وما يَصِحُ الاعتقادُ عليه، يجبُ أنْ يقول: آمنتُ باللهِ وملائكتِه وكُتبِهِ ورُسُلِه، والبعثِ بعد الموتِ، والقَدَر خيْرِه وشرِّه مِن اللهِ تعالى، والحسابِ والميزان، والجَنّة والنّار، حقٌ كُلُّهُ.
واللهُ تعالى واحدٌ لا مِن طريقِ العدد، ولكن مِن طريقِ أنهُ لا شريكَ لـهُ،﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ، اللهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أحَد ﴾.
لا يُشبِهُ شيئاً مِن الأشياءِ مِنْ خَلقِهِ، ولا يُشبِهُهُ شيءٌ مِن خلقِهِ، لم يزلْ ولا يزالُ بأسمائه وصفاتِهِ الذاتيّة والفِعليّة.
أما الذاتية[8]: فالحياةُ والقدرةُ والعلمُ والكلامُ والسمعُ والبصرُ والإرادة.
وأما الفعلية[9]: فالتخليقُ، والترزيقُ، والإنشاءُ، والإبداعُ، والصُنعُ، وغيرُ ذلك مِن صفاتِ الفعل. لم يزلْ ولا يزالُ بأسمائه وصفاتِهِ، لم يحدُث له اسمٌ ولا صفةٌ، لم يزلْ عالمـاً بعلمه، والعِلمُ صفتُهُ[10] في الأزلِ، وقادراً بقدرتِهِ، والقدرةُ صفته في الأزَلِ، ومُتكلماً بكلامه، والكلامُ صفتهُ في الأزل، وخالِقاً بتخليقِه، والتخليقُ صفته في الأزَل، وفاعلاً بفعلِه، والفِعلُ صفتهُ في الأزل، والفاعلُ هو اللهُ تعالى، والفِعلُ صفتُهُ في الأزلِ، والمفعولُ مخلوقٌ، وفِعلُ اللهِ تعالى غيرُ مخلوقٍ، وصفاتُهُ في الأزلِ غيرُ مُحْدَثةٍ ولا مخلوقة[11]، فمَن قالَ إنها مخلوقةٌ أو مُحْدَثةٌ، أو وَقفَ أوْ شَكَّ فيها فهو كافرٌ بالله تعالى.
والقرآنُ كلامُ اللهِ تعالى[12] في المصاحِفِ مكتوبٌ، وفي القلوبِ محفوظٌ، وعلى الألسُنِ مقروءٌ، وعلى النبيِّ عليه الصلاةُ والسلامُ مُنــزَّلٌ، ولفظُنا بالقرآنِ مخلوقٌ[13]، وكتابتُنا له مخلوقة، وقراءتُنا لهُ

---

[8] **الصفاتُ الذاتيّة** تُسمّى أيضا **صفات المعاني**، لأنها تدل على معانٍ قائمة بذات الله، فصفة العِلم تدل على أنّ اللهَ عالم، وهكذا الأمر في باقي الصفات الذاتية. وهنالك أيضا صفات لله أطلق عليها علماء أهل السُّنة اسم "**الصفات السَلبيّة** "، لأنّ معانيها تَسْلبُ عن الله النقائص، وهذه الصفات هي: الوحدانية والقِدَم والبقاء ومُخالفة الحوادث والقيام بالنفس.

[9] **الصفات الفِعليّة**، أو صفات الأفعال، (كالتّخليق والتّرزيق والإماتة والإحياء) عند الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ أزَليّة وأبديّة، وكَوْنُ هذه الصفات أزلية لا يعني بحال أنّ الله منذ الأزل وهو يَخْلق ويَرزق ويُميت ويُحيي، بل معنى ذلك هو أنّ للهِ منذ الأزل **القُدْرَة** على التخليق والترزيق والإماتة والإحياء قبل وجود المخلوقات، ولقد وضَّحَ ذلك الإمام أبو حنيفة في موضع آخر كما سيلي بيانه (ص 12)، حيث قال: « وكان اللهُ تعالى خالقاً قبلَ أنْ يَخْلُقَ، ورازقاً قبلَ أنْ يَرزُقَ ».

[10] في طبعة المكتبة الأزهرية، ودار الكتب العلمية: صفة، وفي طبعة دار النفائس صِفته، وأثبَتُ هذه كَوْنها أوضح.

[11] أراد الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ بقوله: « غير مُحدَثة ولا مخلوقة » أن يقطع الطريق على مَن يُحاول أن يُفرِّق بَيْن لفظ مُحْدَث ولفظ مخلوق، فيقول قائل مثلا: "صفات الله مُحْدثة، ولكن غير مخلوقة"، لهذا ذَكَر اللفظين معاً، والله تعالى أعلم.

[12] عبارة: " كلام الله تعالى" في النص أعلاه سقطت مِن طبعة دار النفائس، وهي موجودة في طبعة المكتبة الأزهرية للتراث وطبعة دار الكتب العلمية، ط 1.

[13] قول الإمام أبي حنيفة: « ولفظنا بالقرآن مخلوق » معناه قراءتنا بالقرآن مخلوقة، والقرآن غير مخلوق، فعندما يقرأ القارئ القرآنَ، فصوت القارئ، أي قراءته وتلاوته، مخلوق، والمقروء والمتلو هو القرآن، وهو غير مخلوق، وهذا عقيدة أهل السُّنة، قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "خلق أفعال العباد" (ص 109 بتحقيق د. عبدالرحمن عميرة، ط 2، الناشر: دار ←

مخلوقةٌ، والقرآنُ غيرُ مخلوق. وما ذكرَهُ اللهُ في القرآنِ حكايةً عن موسى وغيرِهِ مِن الأنبياءِ، وعن فِرْعَوْنَ وإبليس، فإنَّ ذلك كلَه كلامُ اللهِ تعالى إخباراً عنهم، وكلامُ اللهِ تعالى غيرُ مخلوقٍ، وكلامُ موسى وغيرِهِ منَ المخلوقينَ مخلوقٌ، والقرآنُ كلامُ الله تعالى فهو قديمٌ[14]، لا كلامُهُم. وسمِعَ موسى كلامَ اللهِ تعالى كما قال اللهُ تعالى: ﴿ وكَلَّمَ اللهُ موسى تَكْليمًا﴾[15] وقدْ كان اللهُ تعالى مُتكلماً ولم يكنْ كَلّمَ موسى، وقد كان اللهُ تعالى خالقاً في الأزلِ ولم يخلقْ الخلقَ[16] ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ ﴾[17]، فلمّا كَلّمَ اللهُ موسى كَلّمَهُ بكلامِهِ الذي هُوَ لهُ صفةٌ في الأزل، وصفاتُهُ كلُها بخلافِ صفاتِ المخلوقين. يعلمُ لا كعلمِنا، ويَقْدِرُ لا كقدرَتِنا، ويَرَى لا كرؤيَتِنا، ويسمعُ لا كسمعِنا، ويتكلمُ لا ككلامِنا، ونحنُ نتكلمُ بالآلاتِ[18] والحروف، واللهُ تعالى يتكلمُ بلا آلةٍ ولا حروفٍ، والحروفُ مخلوقةٌ، وكلامُ الله تعالى غيرُ مخلوق.

وهو شيءٌ لا كالأشياءِ[19]، ومعنى الشيءِ إثباتُهُ بلا جسمٍ[20] ولا جَوْهَرٍ[21] ولا عَرَضٍ[22]، ولا حَدَّ لهُ[23]، ولا ضدَّ لهُ، ولا نِدَّ له، ولا مِثْلَ لهُ.

←عكاظ، جدة) : **[** وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: « بينما أنا في الجنّة سمعتُ صوتَ رَجُلٍ بالقرآن »، فبَيّنَ أنّ الصوتَ غيرُ القرآن **]**. وقال أيضا (المرجع السابق، ص 109): **[** وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قِراءة القرآن في الركوع »، فبيّن أنّ القراءة غير المقروء**]**. وقال الإمام البخاري أيضا (المرجع السابق، ص 115 – 116): **[** قال أبو عبدالله - البخاري- : وقال الله عزّوجلّ: ﴿بَلِّغْ ماَ أُنْزِلَ إلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [سورة المائدة: آية رقم 67]، فذلك كله مِمّا أمَرَ به، ولذلك قال: ﴿وأقيمواْ الصَّلاةَ ﴾ [سورة البقرة: آية رقم 43]، فالصلاة بجملتها طاعة لله، وقراءةُ القرآن مِن جملة الصلاة، فالصلاة طاعة لله، والأمرُ بالصلاة قرآن وهو مكتوبٌ في المصاحف، محفوظ في الصدور، مقروءٌ على اللسان، والقراءة والحِفظ والكِتابة مخلوق، وما قُرِئَ وحُفِظَ وكُتِبَ ليس بمخلوق، ومِن الدليل عليه أنّ الناس يكتبون الله ويحفظونه، ويدْعونه، فالدعاء والحِفظ والكتابة مِن الناس مخلوق، ولا شك فيه، والخالق الله بصفته **]**.

[14] معنى قديم في عِلم العقيدة **أزَلي**، أي لا بداية له، فالله مُتكلمٌ في الأزل ولا يزال متكلماً.

[15] سورة النساء: آية رقم 164.

[16] معنى قول الإمام أبي حنيفة: « وقد كان الله تعالى خالقا في الأزل ... » هو أنّ اللهَ في الأزل مُتصفٌ بصفة القدرة على التخليق قبلَ أن يخلقَ المخلوقات.

[17] سورة الشورى: آية رقم 11.

[18] أي بآلات الكلام كالأوتار الصوتية واللسان والشفاه.

[19] كلمة شيء تُطلق على كُلِّ موجود، والموجود اثنان: اللهُ الخالق، والمخلوق. ومعنى قول الإمام أبي حنيفة: « وهو شيء لا كالأشياء » هو أنّ الله موجودٌ لا كالموجودات. ومِن صفات الموجودات المخلوقة الجِسْمِيّة والتركيب والتَّحَيُّز (الوجود في أو على مكان)، وكلُّ ذلك مِن صفات المُحدثات، والله الخالقُ مُنَزَّهٌ عن ذلك كله.

[20] لفظ **"جسم"** في اللغة يُطلق على كلّ ذي طول وعَرْض وسُمكٍ ومُؤلف وذي هيئة. وعقيدة أهل السُّنّة تنص على أنّ اللهَ ليس بجسم وغير مُرَكّب، قال الإمام أحمد بن حنبل (ت 241 هـ) في عقيدته: « إنَّ الأسماء مأخوذة بالشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الإسم - أي الجسم - على كلِّ ذي طول وعَرْض وسُمكٍ وتركيب وصورة وتأليف والله تعالى خارج عن ذلك كلّه، فلم يَجُز أنْ يُسمّى جِسماً لخروجه عن معنى الجِسْميّة، ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطل » [المرجع: "طبقات الحنابلة" للقاضي أبي الحسين ابن أبي يعلى الفرّاء، المتوفي سنة 526 هـ ، مجلد 2/ ص 257، الناشر: دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1997، **وهذه الطبعة هي المرجع المُعتمد في هذا الكُتَيِّب]** ، **الكلمات ما بين الشرطتين في النص أعلاه، وفي أيّ نصّ يُستشهد به في هذا الكُتيِّب، هو إضافة مني للتوضيح.**

[21] معنى **"جَوْهَر"** في اللغة **الأصل**، أو أصل الشيء، وأطلق علماء التوْحيد اسم "الجَوْهر الفَرد" على الجُزء الذي لا يتجزأ (وهو الذرة في لغة الفيزيائيين والكيميائيين) ومنه يتكون الجسم، وأصغر الأجسام ما تكوّنَ مِن جَوْهرين مُفرَديْن (وهو الجُزَيء في لغة الفيزيائيين والكيميائيين). والعالَمُ أجسام وصفات (أعْرَاض) قائمة بها.

[22] **العَرَض** هو الصِّفة التي تقوم بالجسم أو بالجَوْهر الفرد. والإمام أبو حنيفة، كما في النص أعلاه، نَزّهَ الله أنْ يكون جسماً أو جَوْهراً أو مُجَرّد صفة قائمة بالجوهر الفرد أو بالجسم، لأنّ اللهَ الخالق يُخالف المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾.

[23] « **لا حَدّ له** » معناه أنّ الله غيرُ محدود، قال اللهُ الخالقُ: ﴿ هُوَ الأوّلُ والآخِرُ ﴾ [سورة الحديد: آية رقم 3]، ومعنى هذه الآية نجده في حديث الرسول ﷺ الآتي: « اللهم أنت الأوّلُ فليس قبلكَ شيءٌ، وأنت الآخِرُ فليس بعدكَ شيءٌ » ["صحيح مسلم"، رقم الحديث **2713**]، فالّذي ليس له قبل ليس له ابتداء، والذي ليس له بَعْدٌ ليس له انتهاء، والذي ليس له ابتداء ولا انتهاء ←

ولـهُ يدٌ ووجهٌ ونفسٌ كما ذكرَهُ اللهُ تعالى في القرآنِ[24] ، فما ذكرَهُ اللهُ تعالى في القرآنِ مِن ذِكْرِ الوجهِ واليدِ والنَّفْسِ فهو لـهُ صفاتٌ بلا كيفٍ[25] ، ولا يُقالُ إنّ يدَهُ قدرتُهُ أو نعمتُهُ، لأنَّ فيه إبطالُ الصفة، وهو قولُ أهلِ القَدَرِ والاعتزالِ، ولكنْ يدهُ صفتُهُ بلا كيفٍ[26] ، وغضبُهُ ورضاهُ صفتان مِن صفاتِهِ بلا كيف.

← فهو غير محدود. فمَن يزعم فيقول:" الله محدود "، أو " له حدٌّ لا يعلمه غيرُه " فهو مُبتدعٌ ضال، لأنّ قولَـه يُخالفُ كلامَ الله وكلام رسولِه ﷺ.

24 عبارة: " كما ذكرَهُ اللهُ تعالى في القرآنِ " في النص أعلاه سقطت مِن طبعة دار النفائس.

25 " **بلا كَيْف** " معناه نفي الكَيْف، والكَيْفُ (أو الكَيْفيّة) هو صفة أو هيئة معهودة في المخلوق. ولقد نَزَّهَ أهل السُّنة اللهَ وصفاتَه عن الكَيْف، قال الإمام الحافظ، والفقيه اللغَوي أبو سليمان الخَطابي (ت 388 هـ) رَحِمَهُ: « فإنّ الذي يجبُ علينا وعلى كلّ مُسلم أنْ يعلمه أنّ ربّنا ليسَ بذي صورة ولا هيئة، لأنّ الصورة تقتضي الكيفيّة وهي عن الله وعن صفاته مَنفيّة»[(1)]، وقال الإمام مالك بن أنس (ت 179 هـ) عن الله تعالى: « وكَيفٌ عنه مرفوع »[(2)]. وعلى هذا فمعنى قول الإمام أبي حنيفة أنّ الوجهَ واليد والنّفسَ صفاتٌ لله بلا كَيف هو أنها صفاتٌ ومفهومها في حقِّ الله مُغايرٌ لمفهومها في حق المخلوق، فالوجه واليد معناهما في حقِّ المخلوق **العضو** (مع أنّ لِليد وللوجه معانٍ أخرى مجازيّة) وفي حقِّ الله صفاتٌ **معنوية** كالقدرة والإرادة، وليست أشياءً مادية محسوسة، أي ليست أعضاءً.

(1) ذكَرَ ذلك عنه الإمام البَيْهقي في كتابه "الأسماء والصفات"، ص 376 بتعليق المُحَدِّث الكَوْثري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت 2001، **وهذه الطبعة هي المَرجع المُعتمَد في هذا الكُتَيِّب.**

(2) المرجع السابق، ص 515.

26 « **ولكنْ يدهُ صفتُهُ بلا كيفٍ** »، هذا هو **مذهب التّفويض** حِيال آيات وأحاديث الصفات، وهو إثبات اللفظ المُضاف إلى الله تعالى مع **نفي الكَيْف**، أي نفي المعنى المُتبادر إلى الذهن والمفهوم في حقّ البشر، وتفويض معناه إلى اللهِ تعالى، ومذهب التّفويض يُمكن **استنباطه** مِن حديث الرسول ﷺ، الذي رواه الإمام البخاري في كتابه "خلق أفعال العباد" (ص63 بتحقيق د. عبدالرحمن عميرة)، قال الرسول ﷺ: « وإنّما نَزل كتاب الله يُصدِّقُ بعضه بعضاً، فلا تضربوا بَعضَه بعضاً. ما عَلِمتُم منه فقولوا، وما لا - تعلمونه -، فكِلوهُ إلى عالِمه »، **ما بين الشرطتين في الحديث النبوي إضافة للتوضيح**. والإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ أثبت لله اليدَ والوجهَ والنَّفْسَ كصفات مع نفي الكيف، أي نفي معناها المفهوم في حقِّ المخلوق، ومعنى اليد والوجه في حقِّ المخلوق **العضو**، فلفظ اليد المُضاف إلى الله **لا** يعني العضو بتاتا، ومِن الدليل عليه (سوى القول: بلا كَيْف) قَوْلُ الإمام أبي حنيفة في كتابه " الفِقه الأبْسَط ": « يدُ اللهِ فوق أيديهم، ليست كأيدي خلقه **وليست بجارحة**، وهو خالقُ الأيدي، ووجهُ ليس كوجوه خلقه، وهو خالقُ كُلِّ الوجوه...»*،

قوله: « وليست بجارحة » معناه **ليست بعضو**، **وقوله** بعد ذلك مُباشرة: «وهو خالقُ الأيدي » فيه إشارة إلى استحالة المُشابهة بين الخالق والمخلوق، فمعنى اليدِ في حقّ الخالق الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾ مُغايرٌ تماما لمعناه في حق المخلوق، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الوجه والعين والأصابع.

* ("الفقه الأبسط" للإمام أبي حنيفة، وهو مطبوع ضِمن رسائل أبي حنيفة في كتاب "العالِم والمُتَعَلِّم" لـه، ص 57 بتعليق الشيخ الكَوْثري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة).

ومِن الجدير بالذِّكر أنّ أيضا الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ كان مِن أصحاب مذهب التفويض ، حيث قال في عقيدته: « إنَّ لله تعالى يدين، وهما صفة له في ذاته، **ليستا بجارحتين**، وليستا بمركبتين **ولا جسم**، ولا مِنْ جنس الأجسام **ولا مِن جنس المحدود والتركيب** ولا الأبعاض والجوارح، **ولا يُقاس على ذلك**، ولا له مِرفق ولا عضد، ولا فيما يقتضي ذلك مِن إطلاق قولهم "يد" إلاّ فيما نطق القرآن به، أو صحّت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السُّنّة فيه » (المرجع: "طبقات الحنابلة"، مجلد 2 / ص 254، طبعة دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1997)، **فالإمام** أحمد - كأصحاب مذهب التفويض - أجرى اللفظ على ظاهره وبدون تفسير، وقال عن لفظ اليدين المُضاف إلى الله تعالى **صفة**، والصفة كما هو معلوم **شيء معنوي**، ولَم يُحدِّد معنى الصفة، ونفى في الوقت نفسه أن يكون معنى اليدين المنسوبتين إلى الله لفظاً عضوين، حيث قال: « ليستا بجارحتين »، أي ليستا بعضوين للكَسْب، وليزيد في البيان قال: « وليستا بمركبتين » لا مِنْ أصابع ولا رُسْغ ولا غير ذلك. وللتأكيد على أنَّ مفهومهما في حقِّ الله ليس مِثل مفهومهما في حقِّ المخلوق قال: «ولا جسم »، أي ليستا شيئاً محسوساً، وكَرّر وزاد في التوضيح فقال: « ولا مِنْ جنس الأجسام ولا مِن جنس المحدود »، وهذا شيء واضح لأنَّ ذات الله ليست بجسمٍ وغير محدودة. وفصّل وبَيّنَ أنَّهما ليستا بأجزاء أو أعضاء لله، فقال: « ولا الأبعاض والجوارح »، وحتى لا يترك مجالاً للوهم والخيال قال: « ولا يُقاس على ذلك ... ولا فيما يقتضي ذلك مِن إطلاق قولهم "يد" »، وهذا واضح لأنَّ مفهوم اليدين في حقِّ الله ليس مِثل مفهومه في حقِّنا كمخلوقات. وهذا التفصيل الدقيق والتكرار مِنَ الإمام أحمد رحمه الله ما هو إلّا لقطع الطريق على مَنْ يُحاول أنْ يُجسِّم مفهوم لفظ اليدين المُضاف إلى الله تعالى، ولقطع الطريق مُسبقاً على مَنْ يُحاول أنْ يُحرِّف كلامه أو أنْ يَنْسِب إليه عقيدة التجسيم. **فأصحاب مذهب التفويض** يُطلقون اللفظ المضاف إلى الله تعالى، كما وَرَد في القرآن والسُّنة، **كصفة معنوية** وبدون تحديد لمعناه، مع تنزيه الله عن الجِسْميّة ولوازمها مِن تركيب وحدّ.

أما قول الإمام أبي حنيفة أنّ تفسير "يَدِ" الله بالقدرة والنعمة هو قول أهل القَدَر والاعتزال ففيه نظر، لأنّ الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما والأئمة مِن التابعين وتابعي التابعين كمجاهد بن جبر وسفيان وابن زيد وابن جرير الطّبري ←

خَلَقَ اللهُ تعالى الأشياءَ لا مِنْ شيء[27]. وكان اللهُ تعالى عالماً في الأزَلِ بالأشياءِ قبلَ كَوْنِها، وهو الذي قدّرَ الأشياءَ وقضاها، ولا يكونُ في الدنيا ولا في الآخرةِ شيءٌ إلا بمشيئتهِ وعلمهِ وقضائهِ وقَدَرِهِ، وكَتَبهُ في اللوحِ المحفوظِ ولكن كتبَهُ بالوصفِ لا بالحكم[28].

والقضاءُ والقدرُ والمشيئةُ صفاتُهُ في الأزلِ بلا كَيْف، يعلمُ اللهُ تعالى المعدومَ في حالِ عَدَمِهِ مَعدوماً، ويعلمُ أنه كيفَ يكونُ إذا أوجدَهُ، ويعلمُ اللهُ تعالى الموجودَ في حالِ وجودِهِ موجوداً، ويعلمُ كيفَ يكونُ فناؤُهُ، ويعلمُ اللهُ تعالى القائمَ في حالِ قيامِهِ قائماً، وإذا قَعَدَ عَلِمَهُ قاعداً في حالِ قعودِهِ مِنْ غيرِ أنْ يتغيرَ علمُهُ، أو يَحدُثَ لهُ علمٌ، ولكنّ التغيّر واختلافَ الأحوالِ يحدثُ في المخلوقين.

خلقَ اللهُ تعالى[29] الخَلْقَ سليماً مِن الكُفرِ والإيمان، ثمَّ خاطبَهُم وأمرهُم ونهاهُم، فكَفرَ مَن كَفَرَ بفِعلِهِ وإنكارِهِ وجحودِهِ الحقَّ بخِذلانِ الله تعالى إياه، وآمنَ مَن آمنَ بفعلِهِ وإقرارِهِ وتصديقِهِ بتوفيقِ الله تعالى إياهُ ونُصْرتهِ له.

وأخرجَ ذريةَ آدمَ من صُلبِهِ على صُوَرِ الذَّرِ، فجعَلَهم عقلاء، فخاطبَهُم[30] وأمرهُم بالإيمانِ[31] ونهاهُم عن الكُفْرِ، فأقرّوا له بالربوبية، فكان ذلك منهم إيماناً، فهم يُولَدونَ على تلك الفطرة، ومَنْ كَفرَ بعد ذلك فقد بدّلَ وغيّرَ، ومَنْ آمنَ وصدّقَ فقد ثبتَ عليه وداوم.

ولم يُجبِرْ أحداً مِن خلقِهِ على الكُفرِ ولا على الإيمانِ، ولا خلقَهُم مؤمناً ولا كافراً، ولكنْ خلقَهُم أشخاصاً[32]، والإيمانُ والكفرُ فِعلُ العبادِ، ويعلمُ اللهُ تعالى مَنْ يَكْفُر في حالِ كُفرِهِ كافراً، فإذا آمنَ بعدَ ذلكَ علمَهُ مؤمناً في حالِ إيمانِهِ وأحبّه مِن غيرِ أنْ يتغيرَ علمُهُ وصفتُهُ.

← فسروا لفظ اليد المُضاف إلى الله كما في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمآءَ بَنَيْناها بأيْيْدٍ وإنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ **بالقوة*** (بالقدرة)، وكذلك الأمر بالنسبة إلى لفظ الوجه المُضاف إلى الله، حيث فسَّرَ الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما والضَّحاك بن مُزاحم (ت 102 هـ) ومُجاهد بن جبر (ت 104) "وجْهَ" الله بذات الله، وعلى هذا فقول الله: ﴿ كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلّا وجْهَهُ ﴾ معناه: كلّ شيءٍ موجود هالكٌ إلّا الله (أنظر تفسير الإمام القُرْطُبي "الجامع لأحكام القرآن" بهذا الخصوص عند تفسيره للآية الكريمة الآنفة الذِكْر، وتفسيره لقوله سُبحَانهُ وَتَعَالَى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجَلالِ والإكْرامِ ﴾ [سورة الرحمن: آية رقم 26 ، 27].

* راجع تفسير الإمام ابن جرير الطبري للآية الكريمة أعلاه : ﴿ والسَّمآءَ بَنَيْناها بأيْيْدٍ ﴾ [سورة الذاريات: آية رقم 47]، جزء 27 / ص 12 مِن طبعة دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت 2001.

27 يقصد الإمام أبو حنيفة بذلك أنّ المادة الأولى التي مِنها خَلقَ اللهُ الأشياءَ قد خلقها مِن لا شيء، أي مِن العَدَم، والمادة الأولى هي الماء، لقول الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لأبي هريرة رضي الله عنه: « كلُّ شيءٍ خُلِقَ مِن الماء »، رواه الإمام أحمد في مُسنَده برقم **8278** (مجلد 8/ ص 269 من طبعة دار الحديث، ط 1، القاهرة 1995)، ورواه الحافظ البَيْهقي في كتابه "الأسماء والصفات" واللفظ له، ص 483 بتعليق الشيخ الكَوْثري، وذكَرَهُ الحافظ ابن حَجَر العسقلاني في "فتح الباري" وقال عنه: « **إسناده صحيح** »، "فتح الباري"، كتاب رقم 42: المساقاة، بعد شرح الحديث رقم **2350**. مجلد 5 / ص 29 بإشراف محب الدين الخطيب، طبعة دار المعرفة، بيروت.

28 « كَتَبَهُ بالوصف » معناه بأنَّ الشيءَ سيكون كذا وكذا، مثلاً بأنّ فلانا سيشكر ويفعل كذا، وفلانا سيجحد ويفعل كذا، وسيقول كذا، « لا بالحُكْم »، أي كَتَبه ليس على صيغة الأمر: لِيَكُن، أو كُن، لأنه لو كان على وجه الأمر لَمَا تَخَلّفَ المخلوق عن الأمر، وذلك لقوله تعالى: ﴿ إنّمآ أمْرُهُ إذآ أرَادَ شَيْئاً أن يَقولَ لَهُ كُن فَيَكونُ ﴾ [سورة يس: آية رقم 82]، مِن شرح الإمام مُلّا علي على "الفقه الأكبر" بتصرّف.

29 عبارة: "اللهُ تعالى" في النص أعلاه سقطت مِن طبعة دار النفائس.

30 بقوله تعالى لهم: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [سورة الأعراف: آية رقم 172].

31 الكلمات: "بالإيمان" و "عنِ الكُفر" في النَّص أعلاه سقطت مِن طبعة دار النفائس.

32 أي خالين مِن الإيمان والكُفر، وهم مُخيّرون، وليسوا بمجبرين، بين الإيمان وبين الكُفر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [سورة البلد: آية رقم 10]، أي بيّنا له الطريقين، طريق الخير وطريق الشر، وقال جَلّ ثناؤُه : ﴿ إنّا هَدَيْناهُ السَّبيلَ إمَّا شاكرًا وإمَّا كَفورًا ﴾ [سورة الإنسان: آية رقم 3]، أي بيّنا له طريق الهُدى والضلال، فإما مؤمناً باتِباعِه طريق الهُدى، وإما كافراً باتِّباعه طريق الضلال.

وجميعُ أفعالِ العبادِ مِنَ الحركةِ والسكون كَسبُهُم على الحقيقة، واللهُ تعالى خالقُها، وهيَ كلُها بمشيئتهِ وعلمهِ وقضائهِ وقَدَرِه. والطاعاتُ[33] كلها كانت واجبة بأمرِ اللهِ تعالى وبمحبتهِ وبرضائهِ وعلمهِ ومشيئتهِ وقضائهِ وتقديرهِ، والمعاصي كلّها بعلمهِ وقضائه وتقديرهِ ومشيئتهِ لا بمحبتهِ ولا برضائهِ ولا بأمرِه.

والأنبياءُ عليهِمُ الصلاةُ والسلامُ كلّهم مُنَـزَّهونَ عن الصغائرِ والكَبائر، والكُفرِ والقبائحِ، وقدْ كانتْ منهُم زلاتٌ وخطايا، ومحمدٌ[34] عليه الصلاة والسلام، حبيبه وعبدُه ورسولُهُ ونَبيُّهُ وصفيُّهُ ونقيه، ولم يَعبد الصنمَ، ولم يُشركْ باللهِ طرفةَ عينٍ قطّ ، ولم يَرتكب صغيرة ولا كبيرة قط.

وأفضلُ الناسِ بعد رسولِ[35] اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم: أبو بكر الصديق، ثم عمرُ بن الخطابِ الفاروق، ثمَّ عثمانُ بن عفان ذو النورين، ثم عليُّ بن أبي طالب المُرتضى، رضوانُ اللهِ تعالى عليهِم أجمعين، عابدينَ ثابتين على الحقِّ، ومعَ الحقِّ، كما كانوا نتولاهُم جميعاً، ولا نذكرُ أحداً من أصحابِ رسولِ اللهِ إلا بخير.

ولا نُكَفِّرُ مسلماً بذنبٍ مِن الذنوبِ[36] وإنْ كانتْ كبيرةً إذا لم يَستحِلَّهَا، ولا نُزيلُ عنه اسمَ الإيمانِ، ونُسمِّيهِ مؤمناً حقيقة، ويجوزُ أنْ يموتَ[37] مؤمناً فاسقاً غيرَ كافر.

والمسحُ على الخفينِ سُنّةٌ، والتراويحُ في شهرِ رمضان سُنّةٌ. والصلاةُ خَلفَ كلِّ بَرٍّ وفاجِرٍ مِن المؤمنينَ جائزةٌ.

ولا نقولُ إنَّ المؤمنَ لا تضُرُهُ الذنوب، ولا نقول إنهُ لا يدخلُ النارَ[38]، ولا نقول إنهُ يُخَلَّدُ فيها وإنْ كانَ فاسقاً بعد أنْ يخرجَ مِنَ الدنيا مؤمناً[39]، ولا نقولُ إنَّ حسناتِنا مقبولةٌ، وسيئاتِنا مغفورةٌ كقول المُرجِئَة[40]، ولكنْ نقول: مَنْ عملَ حسنةً بجميع شرائِطِها خالية عنِ العيوبِ المُفسِدَةِ والمعاني المُبطِلَةِ، ولم يُبطِلْها بالكُفر والرِّدّة[41] حتى خرجَ مِنَ الدُّنيا مؤمناً، فإنَّ اللهَ تعالى لا يُضَيِّعُها بلْ يقبَلُها منه ويُثيبُهُ عليها.

وما كان مِن السيئاتِ دونَ الشركِ والكُفرِ ولم يَتُبْ عنها صاحبها حتى ماتَ مؤمناً فإنّهُ في مشيئةِ اللهِ تعالى، إنْ شاءَ عذَّبَهُ بالنار، وإنْ شاءَ عفا عنهُ ولم يُعَذِّبهُ بالنارِ أصلاً.

والرياءُ إذا وقَعَ في عملٍ مِن الأعمالِ فإنّهُ يُبْطِلُ أجرَهُ، وكذا العُجْبُ.

والآياتُ ثابتة للأنبياءِ، والكَراماتُ للأولياءِ حقٌ. وأما التي تكونُ لأعدائِهِ مثلِ إبليسَ وفِرْعَوْنَ والدَّجالِ مِمّا رُوِيَ في الأخبارِ أنّهُ كان ويكون لهم فلا نُسمّيها آياتٍ ولا كراماتٍ، ولكن نُسمِّيها قَضاءَ حاجاتٍ لهم،

---

33 في طبعة المكتبة الأزهرية للتراث: والطاعة، وفي طبعة دار الكتب العلمية، ودار النفائس: والطاعات، وأثبتُ هذه في النص أعلاه لتلائم سياق الكلام.

34 "رسول الله" زيادة في طبعة دار النفائس.

35 في طبعة المكتبة الأزهرية للتراث: بعد " النَبيّين عليهم الصلاة والسلام "، وفي طبعة دار النفائس: بعد " رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم "، وقد أثبتُ هذه في النص أعلاه لتوافق سياق الكلام بعدها، وهو: أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ... إلى آخره.

36 أي الذنوب التي دون الكُفر، ومِن الذنوب التي تؤدي إلى الكُفر: شتمُ الله أو الدين أو نبيٍّ مِن الأنبياء.

37 في طبعة دار النفائس ودار الكتب العلمية: **يكونَ**، ولا خلاف في المعنى، فيجوز أن يكونَ المرءُ في حياته مؤمناً فاسقاً، ويجوز كذلك أنْ يموتَ على ذلك، والعياذُ بالله.

38 هذا ردٌّ على المُرجِئة.

39 هذا ردٌّ على المعتزلة والخوارج، حيث قالوا بخلود المؤمن الفاسق في النار إن ماتَ ولم يَتُب مِن فِسْقه.

40 **المُرْجِئَة** فرقة ضالّة، قالوا: « لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ، وزعموا أنّ أحداً مِن المسلمين لا يُعاقب على شيءٍ مِن الكبائر»* ، فالمُرجئة أرجأوا، أي أخروا، الوعيد عن المذنبين مِن أهل القبلة أصلاً، ووهِمَ مَن قال: المُرجئة هم مَن أخروا الأعمال عن الإيمان. * ("شرح الفقه الأكبر" ص 161/ طبعة دار النفائس)،

41 " بالكُفر والرِّدة " سقطتا مِن طبعة دار النفائس.

وذلك لأنَّ اللهَ تعالى يقضي حاجات أعدائِه استدراجاً لهم وعقوبة لهم، فيغترون ويزدادونَ طُغياناً وكُفراً، وذلك كلُّهُ جائزٌ ومُمكن.

وكان اللهُ تعالى خالقاً قبلَ أنْ يَخْلُقَ، ورازقاً قبلَ أنْ يَرزُقَ[42].

واللهُ تعالى يُرَى في الآخرَةِ، ويَراهُ المؤمنونَ وهم في الجنّة بأعينِ رؤوسِهِم[43] بلا تشبيهٍ ولا كَيْفِيَّةٍ، ولا يكونُ بينَهُ وبينَ خَلقِهِ مسافَةٌ[44].

والإيمانُ هو الإقرارُ والتصديقُ. وإيمانُ أهلِ السماءِ والأرضِ لا يزيدُ ولا ينقُصُ مِن جِهة المُؤمَن به[45] ، ويزيدُ وينقص مِن جهة اليقين والتصديق. والمؤمنونَ مستوونَ في الإيمانِ[46] والتوحيدِ، مُتفاضلونَ في الأعمالِ.

والإسلامُ هو التسليمُ والانقيادُ لأوامرِ اللهِ تعالى، فمِن طريقِ اللغةِ فرقٌ بين الإيمانِ والإسلامِ، ولكنْ لا يكونُ إيمانٌ بلا إسلامٍ، ولا إسلامٌ بلا إيمانٍ، وهما كالظّهْرِ معَ البطنِ. والدينُ اسمٌ واقعٌ على الإيمانِ والإسلامِ والشرائعِ كُلِّها.

نعرفُ اللهَ تعالى حقَّ معرفتِهِ كما وصفَ نفسَهُ في كتابه بجميع صفاته، وليس يَقْدِرُ أحدٌ أنْ يعبدَ اللهَ تعالى حقَّ عبادتِهِ كما هوَ أهلٌ له، ولكنّهُ يعبدُهُ بأمرِهِ كما أمَر بكتابه وسُنّة رسوله. ويستوي المؤمنونَ كلُّهُمْ في المعرفةِ واليقينِ والتوكّلِ والمَحبةِ، والخوفِ والرجاءِ والإيمانِ، ويتفاوتونَ فيما دونَ الإيمانِ في ذلك

---

[42] يعني أنّ اللهَ مُتصِفٌ في الأزل بصفة القُدرة على التخليق قبل أن يخلقَ المخلوقات، وكذلك مُتصفٌ بالقدرة على التَّرزيق قبل أنْ يوجِد الموجودات.

[43] عبارة: " بأعين رؤوسهم " سقطت مِن طبعة دار النفائس.

[44] لقد أثبتَ الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللهُ **رؤيةَ أهلِ الجنّة لله**، خلافاً للمعتزلة، **بلا تشبيه**، أي دون تشبيه هذه الرؤية برؤية المَخلوق للمخلوق، والتي مِن لوازمها ، أي مِن لوازم رؤية المَخلوق للمخلوق، المُقابلة والجهة، والمسافة بين الرائي والمَرْئي، ولكن رؤية أهل الجنّة لله تكون بدون اللوازم المذكورة، وقد بيّنَ الإمام أبو حنيفة ذلك كله بقوله: « ولا كيْفِيّة، ولا يكونُ بينَهُ وبينَ خَلقِهِ مسافَةٌ »، وقال أيضاً في كتابه "الوصية في التوحيد" (ص 79 مِن كتاب " العالِم والمُتَعَلِّم ") : « ولِقاءُ اللهِ تعالى لأهل الجنّة حقّ بلا كَيْفيّة ولا تشبيهٍ **ولا جِهة** »، **ونفي الجهة** يستلزم نفيَ المكان، ومعنى ذلك هو أنّ اللهَ موجودٌ بلا مكان، وقد صَرّح بذلك الإمام أبو حنيفة في كتابه "الوصية"، حيث قال: « ولو كان في مكانٍ مُحتاجاً إلى الجلوس والقرار فقبْلَ خَلْقِ العرش أين كان الله؟ **تعالى عن ذلك عُلواً كبيراً**» ("المرجع: "إشارات المرام"، ص 163 و 165 مِن الطبعة المُشار إليها في الحاشية رقم 7)، وقال في "الفقه الأبسط": « كان اللهُ تعالى ولا مكان، كان قبل أنْ يخلقَ الخَلْقَ، كان اللهُ تعالى ولم يكن أينٌ ولا خَلْقٌ ولا شيءٌ، وهو خالقُ كُلِّ شيء» ("الفقه الأبسط"، وهو مطبوع ضِمن رسائل أبي حنيفة في كتاب " العالِم والمُتَعَلِّم " له، النص أعلاه مِن ص 57 بتعليق الشيخ الكَوْثري، الناشر: مكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة).

[45] « مِن جِهة المُؤْمَن به» كأركان الإيمان، والإيمان بهذا الخصوص، أي الإيمان بالله وكتبه ورسله وملائكته واليوم الآخِر والقضاء والقدر، **لا يزيد ولا ينقص**، ونُقصانه كُفر. وما وردَ في القرآن والأثر مِن زيادة الإيمان ونقصانه فمحمولٌ على تطبيق أركان الإسلام، وعلى الخشوع وما يترتب على ذلك مِن زيادة الطاعات أو نُقصانها، والله أعلم. قال اللهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إنّما المُؤْمِنونَ الَّذينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلوبُهُمْ وَإذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زَادَتْهُمْ إيماناً ﴾ [سورة الأنفال: آية رقم 2]، قال الإمام القُرطبي رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ زادَتْهُم إيماناً ﴾: « أي تصديقاً،... وقيل: هو زيادة انشراح الصدر بكثرة الآيات والأدلة» انتهى. وقد يكون المعنى: فزادتهم خشوعاً بكثرة الأدلة، فتزداد الطاعات، والله أعلم. وقال الإمام أبو بكر البَيْهَقي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "الاعتقاد"* أنّ أكثرَ أصحاب الحديث قالوا « أنّ اسم الإيمان يجمع الطاعات فرضها ونفلها، وأنها على ثلاثة أقسام: فقسمٌ يكفر بتركه، وهو اعتقاد ما يجب اعتقاده - كأركان الإيمان -، والإقرار بما اعتقده ، وقسمٌ يفسق بتركه أو يعصي ولا يكفُر به إذا لم يجحدهُ ، وهو مفروض الطاعات كالصلاة والزكاة والصيام والحج واجتناب المحارم - كشرب الخمر -، وقسم يكون بتركه مُخطئاً للأفضل غير فاسق ولا كافر، وهو ما يكون مِن العبادات تطوعا »، ما بين الشرطتين في النص إضافة مني للتوضيح. **وبناءً على ما تقدم** يكون نقص الإيمان نقصاً في تطبيق أركان الإسلام، كالصلاة والصيام، أو نقصاً في تأدية النوافل، أو نقصا في اجتناب المحرمات، وزيادته بزيادة النوافل والطاعات وأعمال الخير، والله أعلم.

* "الإعتقاد والهداية إلى سبيل الرَّشاد"، ص 93، الناشر: دار ابن حَزْم، ط 1، بيروت 2003.

[46] أي في أصل الأيمان، وهو أركان الإيمان، والله أعلم.

كله.

واللهُ تعالى متفضلٌ على عبادِهِ، عادلٌ، قد يُعطِي مِنَ الثوابِ أضعافَ ما يستوجِبُهُ العبدُ تفضلاً منهُ، وقد يُعاقِبُ على الذنبِ عدلاً منهُ، وقدْ يَعفو فضلاً منهُ.

وشفاعةُ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ حقٌ، وشفاعَةُ نَبيّنا عليه الصلاة والسلام للمؤمنينَ المُذنبينَ ولأهلِ الكبائرِ منهُم المستوجبينَ للعقابِ حقٌ ثابتٌ[47].

ووزنُ الأعمالِ بالميزانِ يومَ القيامةِ حقٌ، وحوضُ النبيِّ عليهِ الصلاة والسلام حقٌ، والقصاصُ فيما بينَ الخصومِ بالحسنات يومَ القيامةِ حق، وإنْ لم تكن لهم الحسناتُ، فَطَرْحُ السيئاتِ عليهِم حقٌ جائزٌ.

والجنّةُ والنارُ مخلوقتانِ اليومَ، لا تفنيانِ أبداً، ولا تموت الحورُ العين أبداً[48]، ولا يفنى عِقابُ الله تعالى وثوابه سرمداً.

واللهُ تعالى يهدِي منْ يشاءُ فضلاً منهُ، ويُضِلُّ مَن يشاءُ عدلاً منهُ، وإضلالُهُ خِذلانُهُ، وتفسيرُ الخِذلانِ: أنْ لا يوَفِّقَ العبدَ إلى ما يرضاهُ منهُ، وهوَ عدلٌ منهُ، وكذا عقوبةُ المخذولِ على المعصية.

ولا يجوز أنْ نقول: إنَّ الشيطانَ يَسلبُ الإيمانَ مِن العبد المؤمِنِ قهراً وجبراً، ولكنْ نقول: العبدُ يدَعُ الإيمانَ، فحينئذٍ يسلبُهُ منهُ الشيطانُ.

وسؤالُ مُنْكَرٍ ونَكِيرٍ في القبرِ حقٌ، وإعادَةُ الروحِ إلى جسد العبدِ في قبرِهِ حقٌ. وضغطةُ القبرِ وعذابُهُ حقٌ كائنٌ للكفارِ كُلِهِم ولبعضِ عُصاةِ المؤمنين.

وكلُّ شيءٍ ذكرَهُ العلماءُ بالفارسيّةِ مِنْ صفاتِ اللهِ تعالى عَزّ اسمهُ فجائزٌ القولُ به سِوَى اليدِ بالفارِسيّةِ[49]، ويجوزُ أنْ يقالَ (بُرُوْى خُدَى) بلا تشبيهٍ ولا كيفيةٍ.

وليسَ قربُ اللهِ تعالى ولا بُعدُهُ مِن طريقِ طولِ المسافةِ وقِصَرِها، ولكنْ على معنى الكرامةِ والهوان، والمُطيعُ قريبٌ منه بلا كيف، والعاصي بعيدٌ عنهُ بلا كيف. والقُربُ والبُعدُ والإقبالُ يقعُ على المُنَاجي. وكذلكَ جِوارُهُ في الجنّة، والوُقوفُ بينَ يَدَيهِ بلا كيفية.

---

47 أي ثابتٌ بالأحاديث الصحيحة.

48 جملة: "ولا تموت الحورُ العين أبداً" سقطت مِن طبعة دار النفائس، ومُثبتة في طبعة المكتبة الأزهرية للتراث وفي طبعة دار الكتب العلمية.

49 أي أنّ الإمامَ أبا حنيفة جَوَّزَ قولَ صفات الله باللغة الفارسيّة التي ذَكَرَها العُلماء، فجَوّزَ القول مثلا: "عينُ الله"، والمقصود بذلك هو الكِناية عن **الحراسة**، والحِفظ والرعاية، **كما قال ابن عباس** رضي الله عنهما (راجع تفسير القرطبي، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بأعْيُنِنا ﴾ [سورة هود، آية رقم 37]، ولم يُجِز الإمام أبو حنيفة القولَ بالفارسية: " يَدُ الله" لأنّ اليد بالفارسية لا تُطلَقُ إلا على الجارِحَةِ (أي على العضو)، بخلاف الوجه فإنه يُستعمل على وجه الإستعارة بمعنى الوجود*، لهذا خَشِيَ الإمام أنَ يُفهم مِن لفظ اليد المُضاف إلى الله العضو، لهذا يجب ترجمة **معنى** لفظ اليد المُضاف إلى الله إلى اللغة الفارسية، وذلك حسب سياق النص، **أما في العربية فلِلْيَد معانٍ عديدة**، منها: **الذّات**، كقوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدآ أبي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ والمُراد به أبو لهب نفسه، ومنها: **القُدْرة**، كما في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم (برقم **2937**) أنّ الله يوحي إلى عيسى ابن مريم « إنّي أخرجت عباداً لي لا **يدان** لأحدٍ بقتالهم »، والمعنى: لا قدرة ولا قوة لأحد بقتالهم وهم يأجوج ومأجوج، ومنها: **كناية عن التأييد والنُصرة** كقوله تعالى: ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أيْدِيهِمْ ﴾ ، ومنها: **كناية عن الفضل والعطاء والسخاء**، كقوله سُبحَانَهُوَتَعَالَىٰ **:** ﴿ بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشآءُ﴾ ، ومنها: **المعروف** كالقول: له يدٌ عندي، والمعنى: أسدى لي معروفاً.

* كما في "إشارات المرام مِن عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان في أصول الدين" للإمام كمال الدين أحمد البياضي، ص 160 بتحقيق أحمد فريد، طبعة دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 2007.

والقرآنُ مُنَـزَّلٌ على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وهو في المصاحف مكتوبٌ، وآياتُ القرآنِ في معنى الكلامِ كلُّها مستويةٌ في الفضيلَة والعظَمَة، إلا أنَّ لبعضِها فضيلَةُ الذِكْرِ وفضيلَةُ المَذكُورِ، مثلُ آيةِ الكُرسي، لأنَّ المَذكورَ فيها جلالُ اللهِ وعظمتُهُ وصِفاتُهُ، فاجتمعت فيها فضيلتانِ: فضيلةُ الذِكْرِ وفضيلَةُ المَذكورِ، ولبعضها فضيلَةُ الذِكْرِ فحَسب مثل قصة الكفار، وليسَ للمَذكورِ فيها فضلٌ وهم الكفار. وكذلكَ الأسماءُ والصفاتُ كُلُّها مستويةٌ في العَظمَةِ والفضل لا تفاوُتَ بينَهُما.

وقاسمٌ وطاهرٌ وإبراهيمُ كانوا بَنِي رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم، وفاطِمَةُ ورُقَيَّةُ وزيْنَبُ وأمُّ كُلثومَ كُنَّ جميعاً بنات رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ورضيَ عَنْهُنَّ. وإذا أشكلَ على الإنسانِ شيءٌ مِنْ دقَائِق عِلمِ التوحيدِ فإنه ينبغي لهُ أنْ يعتَقِدَ في الحال ما هوَ الصوابُ عندَ اللهِ تعالى إلى أنْ يجِدَ عالماً فيسألُهُ، ولا يَسعُهُ تأخير الطَلَبِ، ولا يُعْذَرُ بالوَقفِ فيه، ويَكفُرُ إنْ وَقَف.

وخَبَرُ المعراجِ حقٌ، ومَنْ ردَّهُ فهو مُبتدِعٌ ضالٌ. وخروجُ الدَّجالِ، ويأجوج ومأجوج، وطلوعُ الشمسِ مِن مغرِبِها، ونزولُ عيسى عليهِ السلامُ مِن السماءِ، وسائِرُ علامَاتِ يومِ القيامةِ على ما وَرَدَتْ بهِ الأخبارُ الصحيحةُ حقٌ كائنٌ، واللهُ تعالى يَهدي مَنْ يشاءُ إلى صِراطٍ مُستقيمٍ].

انتهى مَتنُ الفقه الأكبَر للإمامِ أبي حنيفةَ رَحِمَهُ.

ترجمة مختصرة للإمام أبي جَعْفر الطَّحاوي[50]

رَحِمَهُ اللهُ

هو الإمام الفقيه، الحافظ المؤرخ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزْدِي الطَّحاوي، ولد بطحا بالصعيد الأدنى (في مصر) سنة 239 هـ ، قرأ أولا على خاله إسماعيل بن يحيى المُزَني (ت 264 هـ) ، **صاحب الشافعي رضي الله عنه، ثم انتقل عنه إلى أبي جعفر أحمد بن أبي عمران قاضي الديار المصرية، فصار حنفي المذهب، وخرج إلى الشام فلقي بها قاضي القضاة أبا خازم عبدالحميد بن جعفر[51] فتفقه عليه وسمع منه، وقال الحافظ أبو يعلى الخليلي في الإرشاد في ترجمة إسماعيل بن يحيى المُزَني: « كان الطحاوي ابن أخت المزني، وقال له أحمد بن محمد الشروطي: لِما خالفت خالك واخترت مذهب أبي حنيفة؟ فقال: لأني كنت أرى خالي يُديم النظر في كُتب أبي حنيفة، فلذلك انتقلت إليه ».**
وقال عنه الحافظ الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (مجلد 15 / ص 27 – 33) : « هو الإمام العلاّمة الحافظ الكبير، مُحَدِّث الديار المصرية وفقيهها ... برَز في عِلم الحديث وفي الفقه ... مَن نظر في تواليف هذا الإمام عَلِمَ مَحلّه مِن العِلم وسعَة معارفه ... ».
والإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ **شارك الإمام مسلم في الرواية عن يونس بن عبدالأعلى، كما شارك أبا داود وابن ماجه والنَّسائي في الرواية عن هارون بن سعيد الأيلي.**
قال أبو سعيد بن يونس في تاريخ العلماء المصريين: « كان الطحاوي ثقة ثبتاً فقيهاً عاقلا لم يخلف مثله »، وقال ابن عبدالبَر في كتاب العلم: « كان الطحاوي كوفي المذهب[52]، وكان عالما بجميع مذاهب الفقهاء ».
من مؤلفاته: كتاب "معاني الآثار"، وكتاب "بيان مُشكل الآثار" ، وكتاب "أحكام القرآن"، وكتاب "شرح الجامع الكبير" للإمام محمد و "شرح الجامع الصغير" له أيضا، و "المختصر في الفقه" وكتاب "الوصايا والفرائض"، وكتاب "اختلاف الروايات على مذهب الكوفيين"، وكتاب "التاريخ الكبير"، و "العقيدة المشهورة" بأسمه، وله غير ذلك. توفي الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللهُ **سنة 321 هـ.**

---

[50] **المراجع: " مقالات الكَوْثري "** للشيخ محمد زاهد بن الحسن الكَوْثري، الناشر: دار السلام، ط 3، القاهرة 2009، و **"تاريخ التشريع الإسلامي"** للشيخ محمد الخضَري بك ، الناشر: دار الفكر، ط 7، بيروت 1981. و **" إظهار العقيدة السُّنيّة بشرح العقيدة الطحاوية "** للشيخ عبدالله الهَرَري، الناشر: شركة دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع، ط 4، بيروت 2007.

[51] قاضي حنفي، ولي القضاء بالشام والكوفة، ت سنة 292 هـ.

[52] أي حنفي المذهب.

مَتْنُ العقيدة الطّحَاويّة

للإمام أبي جعفر الطحاوي

المتوفي سنة 321 هـ رَحِمَهُ اللهُ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

قَالَ العَلاَّمَةُ حُجَّةِ الإسلامِ أبو جَعفرٍ الوَرَّاقِ الطّحَاوي بِمصرَ رحِمَهُ اللهُ:

[هَذَا ذِكْرُ بَيانِ عَقيدَةِ أهلِ السُّنَّةِ والجَماعةِ على مَذْهَبِ فُقَهاءِ المِلَّةِ: أبِي حَنيفَةَ النُّعْمَانِ بنِ ثَابِتٍ الكُوفِيّ، وأبِي يُوسُف يَعْقُوبَ بنِ إبْرَاهيمَ الأنْصارِيّ، وأبِي عَبدِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ الشَيْبَانِيّ، رِضْوَانُ اللهِ عليْهِمْ أجْمَعِينَ وَمَا يَعْتَقِدونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ لِرَبِّ العالمين. نقُولُ فِي تَوحيدِ اللهِ مُعْتَقِدينَ بِتَوفيقِ اللهِ:

إنَّ اللهَ واحِدٌ لا شَرِيكَ لَهُ. وَلا شيءَ مِثْلُهُ، ولا شَيءَ يُعْجِزُهُ، ولا إلَهَ غَيْرُهُ. قَديْمٌ بِلا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلا انْتِهَاءٍ، لا يَفْنى ولا يَبِيدُ، ولا يَكُونُ إلاَّ ما يُرِيدُ، لا تَبْلُغُهُ الأَوْهَامُ ولا تُدْرِكُهُ الأَفْهَامُ، ولا يُشْبِهُ الأَنَامَ، حَيٌّ لا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لا يَنَامُ، خَالِقٌ بِلا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلا مؤنَةٍ، مُمِيتٌ بِلا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلا مَشَقَّةٍ.

مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيْماً قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئاً لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ. وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أزَلِيّاً، كَذَلِكَ لا يَزَالُ علَيْها أبَدِياً، لَيْسَ بَعْدَ خَلْقِ الخَلْقِ اسْتَفَادَ اسْمَ الخَالِقِ، وَلا بِإحْدَاثِهِ البَرِيَّةَ اسْتَفادَ اسْمَ البَارِئِ. لَهُ مَعْنَى الرُبُوبِيَّةِ ولا مَرْبُوبَ، ومَعْنَى الخَالِقِ ولا مَخْلُوقَ. وَكَما أَنَّهُ مُحْيِي المَوْتَى بَعْدَما أحْيَا، اسْتَحَقَّ هَذَا الاسْمَ قَبْلَ إحْيَائِهِمْ كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الخَالِقِ قَبْلَ إنْشَائِهِمْ. ذلِكَ بِأنَّهُ على كُلِّ شيءٍ قَديرٌ، وكُلُّ شيءٍ إلَيْهِ فَقيْرٌ، وكُلُّ أمْرٍ عليْهِ يَسيْرٌ، لا يَحْتَاجُ إلى شيءٍ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾[53].

خَلَقَ الخَلْقَ بِعِلْمِهِ، وَقَدَّرَ لَهُمْ أقْدَاراً، وَضَرَبَ لَهُمْ آجَالاً، ولَمْ يَخْفَ عليْهِ شيءٌ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وعَلِمَ ما هُمْ عَامِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، وأمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ ونَهاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وكُلُّ شيءٍ يَجْرِي بِتَقْدِيرِهِ وَمَشِيئَتِهِ، ومَشِيئَتُهُ تَنْفُذُ، لا مَشِيئَةَ لِلعِبَادِ إلاَّ ما شَاءَ لَهُمْ، فَمَا شَاءَ لَهُمْ كَانَ، وما لَمْ يَشَأ لَمْ يَكُنْ.

يَهْدي مَنْ يَشَاءُ، ويَعْصِمُ ويُعَافِي فَضْلاً، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، ويَخْذُلُ ويَبْتَلِي عَدْلاً، وكُلُّهُمْ يَتَقَلَّبُونَ في مَشِيئَتِهِ بَيْنَ فَضْلِهِ وعَدْلِهِ.

وهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الأضْدَادِ والأنْدَادِ. لا رَادَّ لِقَضَائِهِ، ولا مُعْقِبَ لِحُكْمِهِ، ولا غالِبَ لأمْرِهِ. آمَنَّا بِذَلِكَ كُلِّهِ، وأيْقَنَّا أنّ كُلاً مِنْ عِنْدِهِ.

وإنَّ مُحَمَّداً صَلىَّ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ عَبْدُهُ المُصْطَفَى، ونَبِيُّهُ المُجْتَبَى، ورَسُولُهُ المُرْتَضَى، وإنَّهُ خَاتَمُ

[53] سورة الشورى: آية رقم 11.

الأنْبِيَاءِ، وإمَامُ الأَتْقِياءِ، وسَيِّدُ الـمُرْسَلِينَ، وحَبِيبُ رَبِّ العَالَمِينَ، وكُلُّ دَعْوَى نُبُوَّةٍ بَعْدَ نُبُوَّتِـهِ فَغَيٌّ وَهَوَىً. وهُوَ الـمَبْعُوثُ إلى عامَّةِ الـجِنِّ وكَافَّةِ الوَرَى بِالـحَقِّ والـهُدَى وبِالنُّورِ والضِّيَاءِ.

وإنَّ القُرآنَ كَلامُ اللهِ، مِنْهُ بَدَا بِلا كَيْفِيَّةٍ قَوْلاً، وأنْزَلَـهُ على رَسُولِهِ وحْياً، وَصَدَّقَهُ الـمُؤْمِنُونَ على ذَلِكَ حَقّاً، وأيْقَنُوا أنَّهُ كَلامُ اللهِ تَعَالى بِالـحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِـمَخْلُوقٍ كَكَلامِ البَرِيَّةِ، فَمَنْ سَمِعَهُ فَزَعَمَ أنَّـهُ كَلامُ البَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وقَدْ ذَمَّهُ اللهُ وعابَهُ وأوْعَدَهُ بِسَقَرٍ حَيْثُ قَالَ تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾[54]. فلمّا أوْعَدَ اللهُ بِسَقَرٍ لِمَنْ قَالَ: ﴿ إِنْ هَذآ إِلَّا قَوْلُ البَشَرِ ﴾[55]، عَلِمْنَا وأيْقَنَّا أنَّهُ قَوْلُ خَالِقِ البَشَرِ، ولا يُشْبِهُ قَوْلَ البَشَرِ.

وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بِمَعْنىً مِنْ مَعَانِي البَشَرِ فَقَدْ كَفَر[56]، فَمَنْ أبْصَرَ هَذا اعْتَبَرَ وعَنْ مِثْلِ قَوْلِ الكُفَّارِ انْزَجَرَ، وَعَلِمَ أنَّهُ بِصِفاتِهِ لَيْسَ كَالبَشَرِ.

والرُّؤْيَةُ حَقٌّ لأهْلِ الـجَنَّةِ بِغَيْرِ إحَاطَةٍ ولا كَيْفِيَّةٍ كَمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ رَبِّنَا: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ، إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[57]، وَتَفْسِيْرُهُ على ما أَرَادَهُ اللهُ تَعالى وَعَلِمَهُ، وَكُلُّ ما جاءَ في ذَلِكَ مِنْ الـحَدِيْثِ الصَّحِيحِ عَنْ الرَّسُولِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ كَما قَالَ ومَعْنَاهُ على مَا أرَادَ، لا نَدْخُلُ في ذَلِكَ مُتَأَوِّلينَ بِآرائِنا ولا مُتَوَهِّمينَ بِأهْوَائِنا، فَإنَّهُ مَا سَلِمَ في دِينِهِ إلاَّ مَنْ سَلَّمَ للهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عليهِ إلى عَالِمِهِ.

ولا تَثْبُتُ قَدَمٌ في الإسْلامِ إلاَّ على ظَهْرِ التَّسْلِيمِ والاسْتِسْلامِ. فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وصافِي الـمَعْرِفَةِ، وَصَحِيْحِ الإيْمَانِ. فَيَتَذَبْذَبُ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإيْمَانِ وَالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ، وَالإقْرَارِ والإنْكَارِ، مُوَسوِساً تَائِهاً شَاكّاً، لا مُؤْمِناً مُصَدِّقًا، ولا جَاحِداً مُكَذِباً. ولا يَصْحُ الإيْمَانُ بِالرُّؤْيَةِ لأهْلِ دارِ السَّلامِ لِمَنْ اعْتَبَرَها مِنْهُمْ بِوَهْمٍ أوْ تَأَوَّلَها بِفَهْمٍ إذْ كانَ تَأوِيلُ الرُّؤْيَةِ وَتَأويلُ كُلِّ مَعْنىً يُضَافُ إِلىَ الرُّبُوبِيَةِ بِتَرْكِ التَّأوِيلِ ولُزُومِ التَّسْلِيمِ، وعليهِ دِينُ الـمُسْلِمِينَ.

---

54 سورة المدثر: آية رقم 26.

55 سورة المدثر: آية رقم 25.

56 هذه قضية أساسية في العقيدة، وبفهمها تنحَلُّ عُقداً كثيرة بإذن الله، وبيانها كالآتي والله وليُّ التوفيق: حقيقةُ ذاتِ الله الخالق مُغايرة تماما لحقيقة ذات المخلوق، وهذا لا خلاف فيه، لهذا فاللفظ المنسوب إلى الله وإلى المخلوق لا يشتركان في المعنى بتاتا، قال الإمام الواسطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « ليس كذاته ذات ولا كإسمه اسم ولا كفعله فِعل ولا كصفته صفة إلاّ مِن جهة موافقة اللفظ، وجلّت الذات القديمة أن يكون لها صفة حديثة » (المرجع: تفسير الإمام القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾ [سورة الشورى: آية رقم 11]، وكذلك "شرح عقيدة الإمام الغزالي" لأبي العباس الفاسي، ص 55، طبعة دارة الكرز، ط1، القاهرة 2007). وقال الإمام القُرْطُبي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ ما نصه: « وما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي، إذ صفات القديم جَلّ وعَزّ بخلاف صفات المخلوق » انتهى. **مثال:** قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اسْمُهُ: ﴿فاذْكُرُونيَ أذْكُرْكُمْ ﴾ [سورة البقرة: آية رقم 152]، قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه "خلق أفعال العِباد" (ص 109 بتحقيق د. عبدالرحمن عميرة) في تفسير هذه الآية الكريمة: «ذِكْرُ العبدِ ربَّه غيْرُ ذِكْر الله عبْدَه، لأنّ ذِكْرَ العبد الدعاءُ والتضرع، وذِكْر الله الإجابة»، فحصل إذن توافق في اللفظ وليس في المعنى، ونِسبةُ معنىً مِن معاني البشر إلى الله الخالق يُعتبرُ تشبيهاً لله الخالق بالمخلوق، والتشبيه كُفر، قال شيخ البخاري نُعيم بن حماد (ت 228 هـ): « مَن شَبَّهَ اللهَ بشيء مِن خلقه فقد كَفَر»، وهذا القول هو في معنى قول الإمام الطحاوي: « **وَمَنْ وَصَفَ اللهَ بِمَعْنىً مِنْ مَعَاني البَشَر فَقَدْ كَفَرَ** »، وبناءً على ذلك، فمَن قال مثلا أنّ معنى لفظ العين المُضاف إلى الله كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنيَ﴾* **العضو**، أي أداة الرؤية في حقّ المخلوق، فقد كَفَر، لأنه شَبّهَ الله الخالقَ بالمخلوق وذلك بنسبة الأعضاء - هنا العين - إلي الله تعالى.

* [سورة طه: آية رقم 39].

تنويه: معنى قوله جَلّ ثناؤُه: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنيَ ﴾ هو: تُربى بحفظي ورعايتي وحراستي كما قال الإمام ابن حَجَر العسقلاني ناقلا عن الراغب الأصبهاني (أنظر "فتح الباري" للإمام ابن حَجَر العسقلاني، عند شرح الحديث رقم **7408**، مجلد 13/ ص 480 مِن طبعة دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1989، وراجع إنْ شئت تفسير الإمام القرطبي).

57 سورة القيامة: آية رقم 22 ، 23.

ومَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ والتَّشْبيهَ[58] زَلَّ ولَمْ يُصِبِ التَّنْـزِيهَ. فَإِنَّ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلا مَوْصُوفٌ بِصِفاتِ الوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ الفَرْدَانِيَّةِ، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ البَرِيَّةِ. وتَعَالى عنِ الحُدُودِ والغَايَاتِ، والأَرْكَانِ والأعْضاءِ والأدَواتِ، لا تَحْوِيهِ الجِهاتُ الستُّ كَسائِرِ المُبْتَدَعاتِ[59].

والمِعْرَاجُ حَقٌّ، وَقَدْ أُسْرِيَ بِالنَّبِي صَلى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ وَعُرِجَ بِشَخْصِهِ فِي اليَقَظَةِ إلى السَّماءِ، ثُمَّ إلى حَيْثُ شاءَ اللهُ مِنَ العُلى، وأكْرَمَهُ اللهُ بِما شاءَ، وأوْحَى إليْهِ ما أوْحَى، ﴿مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[60].

فَصَلىَّ اللهُ عَليْهِ وسَلّمَ في الآخِرَةِ والأُولى.

والحَوْضُ الذي أَكْرَمَهُ اللهُ تَعالى بهِ غِيَاثاً لأُمَّتِهِ حَقٌّ. والشَّفاعَةُ الّتي ادَّخَرَها لَهُمْ حَقٌّ، كَما رُوِيَ في الأَخْبَارِ. والمِيثَاقُ الذِي أَخَذَهُ اللهُ تَعالى مِنْ ءادَمَ وَذُرِيّتِهِ حَقٌّ.

وَقَدْ عَلِمَ اللهُ تَعالى فِيما لَمْ يَزَلْ عَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ، وعَدَدَ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ جُمْلَةً واحِدَةً، فَلا يُزَادُ فِي ذلِكَ العَدَدِ ولا يَنْقُصُ مِنْهُ. وكَذلِكَ أفْعَالَهُمْ فِيما عَلِمَ مِنْهُمْ أنْ يَفْعَلُوهُ، وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ. والأَعْمالُ

---

[58] « وَمَنْ لَمْ يَتَوَقَّ النَّفْيَ » معناه: مَن لم يتوقّ نفيَ صفات الله، كالمُعتزلة والجَهْمِيّة، فقد نفوا صفات الله الأزلية كالكلام والقدرة والسمع والبصر. **والتَّشبيه في علم العقيدة** هو نسبة أيِّ معنىً مِن معاني الخَلْق إلى الله الخالق، والتّشبيه يكون في الذّات والصفات والأفعال. **التّشبيه في الذات** كالقول: للهِ يدٌ عضو أو يدٌ كصفة عَيْنِيّة، أو عينٌ عضو يرى بها، أو وجهٌ عضو، فهذا كله تشبيه، وتجسيمٌ أيضاً لأنّ اليدَ والعين والوجه أجسام، ولا يُجدي القولُ بعدها: ليست كأيدينا، أي له يدٌ ليست كأيدينا، أو له يدٌ كما يليق بجلاله، وهل يليق بجلال الخالق أوصاف المخلوق كاليد والعين؟! **تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً**. فكُلّ نوعٍ مِن أنواع المخلوقات الحيّة له أعضاءٌ تليق به. فالقِردُ مثلا له يدٌ تليق به كقرد، وليست كأيدنا. فالقول: لله يدٌ أو عينٌ أو وجهٌ هو تشبيهٌ للخالق الذي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ ﴾ بالمخلوق. **والتشبيه في الصفات** كالقول: لله عِلمٌ كعِلمنا أو عِلمُ الله مِن جنس علمنا، أو قدرته كقدرتنا، أو عِلمه مخلوق، أو إرادتُه حادثة. **والتشبيه في الأفعال** كالقول: يفعل بحركة، أو يخلقُ بآلة كاليدين، سبحانه: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة يس: آية رقم 82].

[59] « **وتعالى عن الحدود** » أي أنّ الله غَيْرُ محدود (راجع الحاشية رقم 23 إن شئت)، وتنزيهُ اللهِ عن الحدّ يستلزم تنزيههُ عن الجِسْمِيّة، لأنّ الحدّ مِن لوازم الأجسام. و « **الغايات** » هي النهايات، والمعنى لا نهاية لذات الله، و« **الأَرْكان** » الجوانب، و « **الأعضاء** » كاليد والعين والوجه والأصابع والقَدَم، وهذه مِن أوصاف المخلوقات الحيّة، واللهُ الخالقُ مُنَزَّهٌ عن ذلك. للأسف يعتقدُ كثيرٌ مِن عوامّ الناس والشيوخ المُجَسِّمة أنّ لله أعضاءً - ليست كأعضائنا- ، مُسْتندين في ذلك إلى الأخذ بظواهر بعض النصوص النَقليّة، كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [سورة ص: آية رقم 75]، وفهمهم هذا باطل، ومِن أسبابه تعطيل العقل في فهم النصوص الشرعية وفق أساليب اللغة العربية التي أُوحِيَ بها القرآن الكريم: ﴿ بِلِسانٍ عَرَبيٍّ مُبينٍ ﴾ [سورة الشعراء: آية رقم 195]، **فلو** كانت للهِ أعضاءٌ كاليدين والعينين والوجه والقَدَم لجازَ عليها الفناء، بل لفنيت، ولم يبق منها سوى عضو الوجه وذلك لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ ، **وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ** ذو الجَلالِ والإكْرامِ ﴾ [سورة الرحمن: آية رقم 26 ، 27]، ولقول الله الخالق: ﴿ وَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إلهاً آخرَ، لآ إلهَ إلّا هُوَ **كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلّا وجْهَهُ** ﴾ [سورة القصص: آية رقم 88]، وهل يُعقل أنْ تفنى أعضاءُ الخالق- هذا إنْ كانت له أعضاء - يا أصحاب العقول؟! بالتأكيد لا، وعلى هذا فمعنى قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجَلالِ والإكْرامِ ﴾ **ويبقى الله، فوَجْهُ اللهِ** عِبارة عن الله، وهذا هو تفسير الصحابي ابن عباس رضي الله عنهما (أنظر تفسير القُرطبي للآية الكريمة أعلاه)، ومعنى قوله عزّوجلّ: ﴿ وَلا تَدْعُ مَعَ اللهِ إلهاً آخرَ، لآ إلهَ إلّا هُوَ **كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلّا وجْهَهُ** ﴾ هو: لا تعبد مع الله إلهاً آخر، فلا معبود بحق إلّا الله، كُلّ موجود هالكٌ وفانٍ إلا الله. **فوَجْهُ الله كِنايةٌ عن الله**، وهذا هو تفسير الإمام مجاهد بن جبر - ت 104 هـ - (أنظر تفسير القرطبي) والضّحاك بن مزاحم - ت 102 هـ - (أنظر "دفع شُبَه التشبيه" للإمام ابن الجوزي، ص 113 مِن طبعة دار الإمام النَووي، ط 3 ، عَمّان 2005)، وبهذا التفسير أخذ أئمة أهل السُّنّة كأبي بكر الباقلاني (ت 403 هـ) وأبي منصور البغدادي (ت 429 هـ) وابن حَزْم الأندلسي (ت 456 هـ) وابن الجَوْزي (ت 597 هـ) ومُحيي الدين النَّووي (ت 676 هـ)، وغيرهم. ومعنى قوله جَلّ ثناؤُه: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ هو: لِما خلقتُ بقدرتي، أو لِما خلقتُ أنا، واليد في اللغة العربية تُطلق على **القُدرة**، فقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه (برقم **2937**) أنّ الله يوحي إلى عيسى ابن مريم « إنّي أخرجتُ عباداً لي لا يدان لأحدٍ بقتالهم »، والمعنى لا قدرة ولا قوة لأحد بقتالهم وهم يأجوج ومأجوج. وتُطلق اليد كذلك على **الذات**، قال الله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدآ أبي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾، والمُرادُ بيديّ أبي لهب أبو لهب نفسه، والمعنى: هَلَكَ أبو لهب بذاته، وليس يداهُ فقط.

و « **الأَدَوات** » هي الأعضاء الصغيرة كاللسان والشفاه ، « **لا تَحْويهِ الجِهاتُ** » أي لا تُحيط به الجهات الست كسائر المخلوقات، فالله مُنَزَّهٌ عن الجهات، وبالتالي عن المكان لأنّ الجهات مِن لوازم المكان.

[60] سورة النجم: آية رقم 11.

بِالـخَوَاتِيمِ. والسَّعيدُ مَنْ سَعِدَ بِقَضَاءِ اللهِ تَعالى، والشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِقَضاءِ اللهِ تَعَالى.
وأصْلُ القَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعالى في خَلْقِهِ، لَمْ يَطَّلِعْ على ذلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ. والتَّعَمُّقُ والنَّظَرُ فِي ذلِكَ ذَرِيعَـةُ الـخِذْلاَنِ، وسُـلَّمُ الـحِرْمَانِ، وَدَرَجَـةُ الطُّغْيـانِ، فَالـحَذَرَ كُـلَّ الـحَذَرِ مِـنْ ذلِـكَ نَظَـراً وفِكْـراً وَوَسْوَسَةً، فَإِنَّ اللهَ تَعالى طَوَى عِلْمَ القَدَرِ عَنْ أنَامِـهِ ونَـهاهُمْ عَنْ مَرَامِـهِ كَما قَالَ تَعالَى في كِتابِـهِ: ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْألونَ ﴾[61]. فَمَنْ سَألَ لِمَ فَعَلَ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الكِتـابِ، ومَنْ رَدَّ حُكْمَ الكِتـابِ كـانَ مِنَ الكَافِرِينَ.
فَهَذِهِ جُمْلَةُ ما يَحْتَاجُ إليهِ مَنْ هُوَ مُنَوَّرٌ قَلبُهُ مِنْ أولِيَـاءِ اللهِ تَعالى، وهِـيَ دَرَجَـةُ الرَّاسِـخينَ فـي العِلْـمِ، لأنَّ العِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الـخَلْقِ مَوجُودٌ، وعِلْمٌ في الـخَلقِ مَفْقُودٌ، فَإنْكَارُ العِلْمِ الـمَوْجُودِ كُفْرٌ، وَادِّعـاءُ العِلْـمِ الـمَفْقُودِ كُفْرٌ، ولا يَثْبُتُ الإيْمانُ إلا بِقَبُولِ العِلمِ الـمَوجُودِ وَتَرْكِ طَلَبِ العِلْمِ الـمَفْقُودِ.
ونُؤْمِنُ بِاللَّوحِ وَالقَلَمِ وبِجَميعِ ما فيهِ قَدْ رُقِمَ. فلَوْ اجْتَمَعَ الـخَلْقُ كُلُّهُمْ على شَـيءٍ كَتَبَـهُ اللهُ تَعالى فيـهِ أنَّـهُ كائِنٌ لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كائنٍ لَمْ يَقْدِرُوا عليْهِ. وَلَوْ اجْتَمَعُوا كُلُّهُـمْ على شَـيءٍ لَـمْ يَكْتُبْـهُ اللهُ تَعالى فيـهِ لِيَجْعَلُـوهُ كائِناً لَمْ يَقْدِرُوا عليْهِ. جَفَّ القَلَمُ بِما هُوَ كائِنٌ إلى يَومِ القِيَامَةِ، وما أخْطَأ العَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، وما أصابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ.
وعلى العَبْدِ أنْ يَعْلَمَ أنَّ اللهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ في كُلِّ كائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذلِكَ تَقْدِيراً مُحْكَماً مُبْرَمـاً لَـيْسَ فيـهِ نـاقِضٌ ولا مُعَقِبٌ ولا مُزِيلٌ ولا مُغَيِّرٌ ولا مُحَوِّلٌ ولا نـاقِصٌ ولا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَماوَاتِـهِ وأرْضِـهِ، وذلِـكَ مِنْ عَقْدِ الإيْمَانِ وأُصُولِ الـمَعْرِفَةِ والاعْتِرَافِ بِتَوحِيدِ اللهِ تَعالى ورُبُوبِيّتِـهِ، كما قَـالَ تَعالى فـي كِتابِـهِ: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً ﴾[62]، وَقَالَ تَعالى: ﴿ وكَـانَ أمْرُ اللهِ قَدَراً مَّقْدُوراً ﴾[63]. فَوَيْلٌ لِمَنْ صَـارَ للهِ تَعالى في القَدَرِ خَصِيماً، وأحْضَرَ لِلنَّظَرِ فيهِ قَلْباً سَقِيماً، لَقَدِ التَمَسَ بِوَهْمِـهِ فـي فَحْصِ الغَيْبِ سِرّاً كَتِيمـاً، وعادَ بِما قَالَ فيهِ أفَّاكاً أثِيماً.
والعَرْشُ والكُرْسِيُّ حَقٌّ، وهُوَ مُسْتَغْنٍ عنِ العَرْشِ وما دُونَـهُ، مُحيْطٌ بِكُلِّ شيءٍ[64] وفَوْقَهُ[65]، وقَدْ أعْجَزَ عَنِ الإحَاطَةِ خَلقَهُ.
ونقولُ: إنَّ اللهَ اتَّخَذَ إبْرَاهيمَ خليلاً، وكَلَّمَ مُوسَى تَكليماً إيـمَاناً وتَصْدِيقاً وتَسليماً.
ونُؤْمِنُ بِالـمَلائِكَةِ والنَّبِيّينَ والكُتُبِ الـمُنَـزَّلَةِ على الـمُرْسَلينَ، ونَشْهَدُ أَنَّهُمْ كانُوا على الـحَقِّ الـمُبِينَ.
ونُسَمّي أهْلَ قِبْلَتِنا مُسْلِمينَ مُؤْمِنينَ، ما دَامُوا بِما جاءَ بِهِ النَّبِيُّ صلى اللهُ علَيهِ وسَلَّمَ مُعْتَرِفِينَ، ولَـهُ بِكُلِّ ما قَالَهُ وأخْبَرَ مُصَدِقِينَ غَيْرَ مُنْكِرِينَ.
ولا نَخُوضُ في اللهِ ولا نُمَارِي في دِينِ اللهِ. ولا نُجادِلُ في القرآنِ، ونَشْهَدُ أنَّـهُ كَلامُ رَبِّ العَالـمينَ، نَـزَلَ بِـهِ الرُّوحُ الأَمينُ، فَعَلَّمَهُ سَيِّدَ الـمُرْسَلينَ مُحَمَّداً صَلّى اللهُ عليْهِ وَسَلَّم، وَهُوَ كلامُ اللهِ تعالى، لا يُساوِيهِ شَـيءٌ

---

[61] سورة الأنبياء: آية رقم 23.
[62] سورة الفرقان: آية رقم 2.
[63] سورة الأحزاب: آية رقم 38.
[64] ليس المقصود بذلك الإحاطة بالذّات، بل بالعِلم، قال اللهُ تعـالى: ﴿ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَـاطَ بِكُلِّ شَـيءٍ عِلْمَـا ﴾ [سورة الطلاق: آية رقم 12].
[65] أي فوق كلِّ شيء، فوقية الربوبية والعَظَمَة، وليس فوقية المكان، ومن الدَّليل عليه هو أنّ الإمام الطحـاوي نَـزَّهَ اللهَ عن الجهات، وهذه مِن لوازم المكان، فتنزيهُ اللهِ عن الجهات يستلزم تنزيهَهُ عن المكان.

مِنْ كلامِ الـمَخْلُوقينَ، ولا نقولُ بِخَلْقِهِ، ولا نُخالِفُ جَماعَةَ الـمُسْلِمينَ.
ولا نُكَفِّرُ أحَداً مِنْ أهْلِ القِبْلَةِ بِذَنْبٍ ما لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، ولا نقولُ لا يَضُرُّ مَعَ الإيْمانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ.
نَرْجُو لِلمُحْسِنِينَ مِنَ الـمُؤْمِنِينَ أنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَيُدْخِلَهُمُ الـجَنَّةَ بِرَحْمَتِه، ولا نَأمَنُ عَلَيْهِمْ، ولا نَشْهَدُ لَهُمْ بِالـجَنَّةِ، ونَسْتَغْفِرُ لِمُسِيئِهِمْ وَنَخَافُ عليهِمْ ولا نُقَنِّطَهُمْ.
والأَمْنُ والإيَاسُ يَنْقُلانِ عَنْ مِلَّةِ الإسْلامِ، وسَبِيلُ الـحَقِّ بَيْنَهُما لأهْلِ القِبْلَةِ.
ولا يَخْرُجُ العَبْدُ مِنْ الإيْمانِ إلا بِجُحُودِ ما أدْخَلَهُ فيهِ. والإيْمانُ هُوَ الإقْرَارُ بِاللِّسَانِ وَالتَّصْدِيقُ بالـجَنانِ.
وَجَميعُ ما صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عليْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الشَّرْعِ والبَيانِ كُلُّهُ حَقٌّ.
والإيْمـانُ واحِدٌ، وأهْلُـهُ فـي أصْلِهِ سَوَاءٌ والتَفاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالـخَشْيَةِ وَالتُّقَى ومُخَالفةِ الـهَوَى ومُلازَمَةِ الأوْلى.
والـمُؤْمنونَ كُلُّهُمْ أوْلِيَاءُ الرَّحْمنِ، وأكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أطْوَعُهُمْ وأتْبَعُهُمْ لِلقُرآنِ.
والإيمانُ هُوَ الإيمانُ بِاللهِ، ومَلائكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، واليَومِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وحُلْوِهِ ومُرِّهِ مِنَ اللهِ تَعالى. ونَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذلكَ كُلِّه، لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ونُصَدِّقُهُمْ كُلُّهُمْ على ما جاءُوا بِهِ.
وأهْلُ الكَبائِرِ مِنْ أمَّـةِ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عليـهِ وَسَلَّمَ فـي النَّـارِ لا يَخْلُدُونَ إذا مـاتُوا وهُمْ مُوَحِّدُونَ وإنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ بَعْدَ أنْ لَقُوا اللهَ عَارِفِينَ مُؤْمِنينَ، وَهُمْ فـي مَشِيئَتِهِ وحُكْمِـهِ إنْ شـاءَ غَفَرَ لَهُمْ وعَفا عَنهُمْ بِفَضْلِه، كَما ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ في كِتابِـهِ: ﴿وَيغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[66]. وإنْ شـاءَ عَذَّبَهُمْ فـي النَّـارِ بِعَدْلِهِ ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْها بِرَحْمَتِهِ وشَفَاعَةِ الشَّافِعينَ مِنْ أهْلِ طاعَتِـهِ ثُـمَّ يَبْعَثُهُمْ إلـى جَنَّتِـهِ، وذَلِكَ بِـأنَّ اللهَ تَعالى تَـوَلَّى أهْلَ مَعْرِفَتِـهِ ولَـمْ يَجْعَلْهُمْ فـي الدَّارَيْنِ كَأهْلِ نُكْرَتِـهِ الذينَ خَـابُوا مِنْ هِدَايَتِـهِ ولَـمْ يَنـالُوا مِنْ وِلايَتِهِ. اللَّهُمَّ يا وَلِيَّ الإسْلامِ وأهْلِهِ ثَبِّتْنا على الإسْلامِ حتَّى نَلْقَاكَ بِهِ.
ونَرَى الصَّلاةَ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وفَـاجِرٍ مِنْ أهْلِ القِبْلَـةِ، وعلـى مَنْ مـاتَ مِنْـهُمْ. ولا نُنَـزِّلُ أحَداً مِنْـهُمْ جَنَّـةً ولا ناراً، ولا نَشْهَدُ علَيْهِم بِكُفْرٍ ولا بِشِرْكٍ ولا بِنِفَاقٍ ما لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شيءٌ مِنْ ذلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إلـى اللهِ تَعالى.
ولا نَـرَى الـسَّيْفَ علـى أحْدٍ مِنْ أمَّـةِ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عليْـهِ وسَلَّمَ إلا مَـنْ وَجَـبَ علَيْـهِ الـسَّيْفُ. ولا نَـرَى الـخُرُوجَ علـى أئِمَّتِنـا وَوُلاةِ أمُورِنـا وَإنْ جَـارُوا، ولا نَـدْعُو علَـيْهِمْ، ولا نَنْـزِعُ يَـداً مِـنْ طـاعَتِهِمْ، وَنَـرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيْضَةً مَا لَمْ يَأمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، ونَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلاحِ والـمُعافَاةِ.
وَنَتْبِعُ السُّنَّةَ والـجَماعَةَ، وَنَجْتَنِبُ الشُذُوذَ والـخِلافَ والفُرْقَـةَ. ونُحِبُ أهْلَ العَدْلِ والأمانَـةِ ونُـبْغِضُ أهْلَ الـجَوْرِ والـخِيانَـةِ. ونقولُ اللهُ أعْلَمُ فيْما اشْتَبَهَ علَيْنا عِلْمُهُ.
ونَرَى الـمَسْحَ على الـخُفَّيْنِ في السَّفَرِ والـحَضَرِ كَما جاءَ فـي الأثَـرِ. والـحَجُّ والـجِهَادُ ماضِـيانِ مَـعَ أُولـي الأمْرِ مِنْ الـمُسْلِمينَ بَرِّهِمْ وفَاجِرِهِمْ إلى قِيامِ السَّاعَةِ لا يُبْطِلُهُما شيءٌ ولا يَنْقُضُهُما.
ونُؤْمِنُ بِالكِرَامِ الكَاتِبِينَ، فَإنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنـا حَـافِظِينَ، ونُـؤْمِنُ بِمَلَـكِ الـمَوْتِ الـمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أرْوَاحِ العالَمينَ، وبِعَذَابِ القَبْرِ لِمَنْ كانَ لَهُ أهْلاً، وسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فـي قَبْرِهِ عنْ رَبِّـهِ ودِينِـهِ ونَبِيِّـهِ على مـا جاءَتْ بِهِ الأخْبارُ عنْ رسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليْهِ وسَلّمَ وعنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ. والقَبْرُ رَوْضَـةٌ مِنْ رِياضِ الـجَنَّةِ أوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيْرَانِ.

---

[66] سورة النساء: آية رقم 48 ، 116.

ونُـؤْمِنُ بِالبِعْثِ وجَـزاءِ الأعْمـالِ يَـوْمَ القِيامَـةِ والعَـرْضِ والـحساب وقِـراءَةِ الكِتَـابِ والثَّـوَابِ والعِقَـابِ والصِّراطِ والـمِيزانِ.

والـجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لا تَفْنَيانِ أبداً ولا تَبيدَانِ، وإنَّ اللهَ تعالى خَلَقَ الـجَنَّةَ والنَّـارَ قَبْلَ الـخَلْقِ وَخَلَـقَ لَهُمَا أهْلاً، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إلىَ الـجَنَّةَ فَضْلاً مِنْهُ، ومَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إلـى النَّـارِ عَدْلاً مِنْـهُ، وكُلٌّ يَعْمَلُ لِمـا قَدْ فُرِغَ لَهُ وصَائِرٌ إلى ما خُلِقَ لَهُ. والـخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرانِ على العِبادِ. والاسْتِطَاعَةُ الّتـي يَجِبُ بِها الفِعْلُ مِن نَحْوِ التَّوْفِيقِ الذِي لا يَجُوزُ أنْ يُوصَفَ الـمَخْلُوقُ بِهِ فَهِيَ مَعَ الفِعْلِ، وأمَّا الاسْتِطَاعَةُ مِنْ جِهَةِ الصِّحَّةِ وَالوُسْعِ والتَّمَكُّنِ وسَلامَةِ الآلاتِ فَهِيَ قَبْلَ الفِعْلِ، وبِها يَتَعَلَّقُ الـخِطَابُ، وَهِيَ كَمَا قَـالَ تَعَـالىَ: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلّا وُسْعَهَا ﴾[67]. وأفْعَالُ العِبَادِ خَلْقُ اللهِ وكَسْبٌ مِنْ العِبادِ. ولَمْ يُكَلِّفْهُمُ اللهُ تَعَـالىَ إلا مـا يُطِيقُونَ، ولا يُطَيِّقُونَ إلا ما كَلَّفَهُمْ، وَهُوَ تَفْسيرُ لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللهِ، نَقُولُ: لا حِيْلَةَ لأحَدٍ، ولا حَرَكَـةَ لأحَـدٍ ولا تَحَوُّلَ لأحَدٍ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إلا بِمَعُونَـةِ اللهِ، ولا قُوَةَ لأحَدٍ على إقَامَـةِ طَاعَـةِ اللهِ والثَّبـاتِ عليْهـا إلا بِتَوفيـقِ اللهِ.

وكُلُّ شيءٍ يَجْرِي بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعالى وعِلْمِهِ وقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ. غَلَبَتْ مَشِيْئَتُه الـمَشِيْئَاتِ كُلَّها، وغَلَبَ قَضَاؤُهُ الـحِيَلَ كُلَّها. يَفْعَلُ مَا يَشاءُ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أبَداً، تَقَدَّسَ عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَحَيْنٍ، وتَنَـزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ وَشَيْنٍ ﴿ لا يُسْألُ عَمَّـا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْألونَ ﴾[68]. وفـي دُعـاءِ الأحْيـاءِ وصَدَقَاتِهِمْ مَنْفَعَـةٌ للأمْـوَاتِ، واللهُ تَعـالى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ وَيقْضِي الـحَاجَاتِ، وَيَمْلِكُ كُلَّ شـيءٍ ولا يَمْلِكُـهُ شـيءٌ، ولا غِنَـى عَنِ اللهِ تَعالى طَرْفَـةَ عَيْنٍ، ومَـنْ [زَعَـمَ أنَّـهُ][69] اسْتَغْنى عَنِ اللهِ طَرْفَـةَ عَيْنٍ فَقَدْ كَفَـرَ وصـارَ مِـنْ أهْلِ الـحَيْنِ. واللهُ يَغْضَبُ ويَرْضَى لا كَأحَدٍ مِنْ الوَرَى.

وَنُحِبُّ أصْحابَ رسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليْهِ وسَلَّم، ولا نُفْرِطُ فـي حُبِّ أحَدٍ مِنْهُمْ، ولا نَتَبَرَّأ مِنْ أحَدٍ مِنْهُمْ، ونُبْغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ وبِغَيْرِ الـخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ، ولا نَذْكُرُهُمْ إلا بِخَيْرٍ ، وحُبُّهُمْ دِينٌ وإيمانٌ وإحْسانٌ وبُغْضُهُمْ كُفْرٌ ونِفاقٌ وطُغيانٌ.

وَنُثْبِتُ الـخِلافَةَ بَعْدَ رسُولِ اللهِ صَلى اللهُ علَيْـهِ وسَلَّمَ أولاً لأبِـي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِـيَ اللهُ عَنْـهُ، تَفْضيلاً لَـهُ وَتَقْدِيْماً على جَمِيْعِ الأمَّةِ، ثُمَّ لِعُمَرَ بنِ الـخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عنهُ، ثُمَّ لِعَلِيٍّ بنِ أبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، وَهُمُ الـخُلَفاءُ الرَّاشِدُونَ والأئِمَّةُ الـمُهْتَدُونَ. وإنَّ العَشَرَةَ الذينَ سَمَّاهُمْ رسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ وَبَشَّرَهُمْ بِالـجَنَّةِ، نَشْهَدُ لَهُمْ بِالـجَنَّةِ على مـا شَـهِدَ لَهُمْ رسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عليْـهِ وسَلَّم، وَقَولُـهُ الـحَقُّ، وهُمْ أبـو بَكْرٍ وعُمَرُ، وعُثْمَـانُ، وعلـيٌّ، وطَلْحَـةُ، والزُّبَيْرُ، وسَـعْدٌ، وسَعِيْدٌ، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، وأبو عُبَيْدَةَ بنُ الـجَرَّاحِ، وهو أمينُ هذِهِ الأمَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجْمَعِينَ. ومَنْ أحْسَنَ القَوْلَ في أصْحابِ رسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليْهِ وسَلَّمَ وأزْوَاجِهِ الطَّـاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ وذُرِّيَّاتِـهِ الـمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ فَقَدْ بَرِئَ مِنْ النِّفَـاقِ. وعُلَمـاءُ السَّلَفِ مِنْ السَّابِقينَ ومَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّـابِعِين أهْلُ الـخَيْرِ والأثَرِ، وأهْلُ الفِقْهِ والنَّظَرِ، لا يُذْكَرُونَ إلا بِالـجَمِيلِ ومَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ فَهُوَ على غَيْرِ السَّبِيلِ.

ولا نُفَضِّلُ أحَداً مِنَ الأوْلِيـاءِ على أحَدٍ مِنَ الأنْبِيـاءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، ونَقُولُ نَبـيٌّ واحِدٌ أفْضَلُ مِنْ جَمِيـعِ الأوْلِياءِ. ونُؤْمِنُ بما جَاءَ مِن كَرَامَـاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثِقَـاتِ مِنْ رِوَايَـاتِهِمْ. ونُـؤْمِنُ بِأشْرَاطِ السَّاعَةِ مِنْ

---

[67] سورة البقرة: آية رقم 286.

[68] سورة الأنبياء: آية رقم 23.

[69] القوسين وما بينهما هكذا في النسخة المطبوعة من كتاب "إظهار العقيدة السُّنيّة بشرح العقيدة الطحاوية" المُشار إليه في صفحة 4- 5.

خُرُوجِ الدَّجَالِ، وَنُزُولِ عيسَى ابن مَرْيَمَ عليهِ السَّلامُ مِنَ السَّماءِ، ونُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها، وخُرُوجِ دَابَّةِ الأرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا. ولا نُصَدقُ كَاهِناً ولا عَرَّافاً ولا مَنْ يَدَّعِي شَيْئاً يُخَالِفُ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وإجْمَاعِ الأمَّةِ. ونَرَى الجَماعَةَ حَقاً وصَوَاباً، والفُرْقَةَ زَيْغاً وعَذاباً.

ودِينُ اللهِ فِي الأرضِ والسَّماءِ واحِدٌ، وهو دِينُ الإسْلام[70]، قالَ اللهُ تَعالى: ﴿ إنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسْلامُ﴾[71]، وقَالَ تعالى: ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً ﴾[72].

وهُوَ بَيْنَ الغُلُوِّ وَالتَّقصِيرِ، وبَيْنَ التَّشْبِيهِ[73] والتَّعْطيل[74]، وبَيْنَ الجَبْرِ[75] والقَدَرِ[76]، وبَيْنَ الأمْنِ والإيَاس. فَهَذا دِيْنُنَا واعْتِقَادُنا ظَاهِراً وبَاطِناً، ونَحْنَ بُرَءَاءُ إلى اللهِ مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الذِي ذَكَرْنَاه وبَيناهُ. ونَسألُ اللهَ تَعالى أنْ يُثَبِّتَنَا على الإيْمانِ ويَخْتِمَ لنا بِهِ، ويَعْصِمَنا مِنَ الأهْوَاءِ المُخْتَلِفَةِ والآرَاءِ المُتَفَرِّقَةِ والمَذاهِبِ الرَّدِيَّةِ، مِثْلِ المُشَبِّهَةِ[77] والمُعْتَزِلَةِ[78] والجَهْمِيَّةِ[79] والجَبْرِيَّةِ[80] والقَدَرِيَّةِ[81]، وغَيْرِهِمْ مِنَ الذِينَ خَالَفُوا السُّنَّةَ والجَماعَةَ وحالفُوا الضَّلالَةَ، ونَحْنَ مِنْهُمْ بَرَاءٌ وهُمْ عِنْدَنا ضُلاَّلٌ وأرْدِياء، وبِاللهِ العِصْمَةُ والتَّوْفيقِ]. انتهى مَتنُ العقيدة الطحاويَّة.

---

[70] ولقد ضَلَّ وأَضلَّ مَن زعَمَ أنّ هناك ديانات سماوية ثلاث، فالله لمْ يوحِ الديانة اليهودية ولا الديانة المسيحيّة، بل دين الإسلام، وآدمُ وحوّاء عليهما السلام اتّبعا ديناً واحداً، وهو الإسلام، وليس ديانات ثلاث. وأنبياءُ الله بلّغوا أقوامَهم دين الإسلام، وأتباعهم كانوا مسلمين. وأركان الإيمان والإسلام مِن عهد آدم وحواء عليهما السلام إلى يوم قيام الساعة لم ولن تختلف، فأهل الكتاب قد فُرِضَ عليهم الصيامُ والصلاة والزكاة كما فُرِضَ على المسلمين مِن أُمَّة محمد عليه الصلاة والسلام، قال الله عزّوجلّ: ﴿ يآ أيُّها الَّذينَ آمَنواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ على الَّذينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تتَّقونَ﴾ [سورة البقرة: آية رقم 183]، وقال جَلّ ثناؤُه: ﴿وَما تَفَرَّقَ الَّذينَ أُوتواْ الكِتابَ إلّا مِن بَعْدِ ما جآءَتهُمُ البَيِّنةُ ، وَمآ أُمِروٓاْ إلّا ليَعبُدواْ اللهَ مُخلِصينَ لهُ الدِّينَ حُنَفآءَ وَيُقيمواْ الصَّلاةَ ويُؤْتواْ الزَّكاةَ وَذلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾ [سورة البيّنة: آية رقم 4 ، 5]. والشهادتان لم تختلفا على مَرِّ الأزمان، ففي عهد نوح عليه السّلام كانتا: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنَّ نوحا رسول الله، وفي عهد موسى عليه السّلام كانتا: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنَّ موسى رسول الله، وفي عهد عيسى عليه السّلام كانتا: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنَّ عيسى رسول الله، وفي عهد محمد عليه الصّلاة والسّلام إلى قيام الساعة: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

[71] سورة آل عمران: آية رقم 19.

[72] سورة المائدة: آية رقم 3.

[73] **التّشبيه** هو وصفُ الله الخالق بصفة مِن صفات المخلوقات، أو إشراكُ الله ومخلوقاته في معنى صفة مِن الصفات. والتشبيه يكون في الذات والصفات والأفعال، راجع الحاشية رقم 58 إنْ شئت.

[74] **مذهب التّعطيل** يقوم على نفي صفات الله، والمُعتزلة والجَهْمِيّة نفوا صفات الله، لهذا أطلقَ عليهم أهل السُّنّة اسم " مُعَطِّلة ".

[75] **مذهب الجَبْر** يقوم على سَلب العبد صفة الإرادة، فالعبدُ مُجبرٌ في أفعاله وتصرفاته، وإنما يُنسب إليه الفِعلُ على سبيل المجاز، كما يُقال: جرى النهر، أمطرت السماء، وجمهور الجَهْمِيّة جَبْرِيّة.

[76] **مذهب القَدَرِيّة** ينصُّ على نفي تقدير الله لأفعال العباد، وأنّ الله خالقٌ لها، بل العباد يخلقون أفعالهم. قال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم: « القَدَرِيّة مجوسُ هذه الأمّة »، رواه أبو داود بإسناد حسن، أنظر " سنن أبي داود "، كتاب السُّنة، باب القدر، رقم الحديث **4691** بتعليق محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط 1، الرياض.

[77] **المُشَبِّهَة** هم الذين ينسبون صفات وأوصاف المخلوق إلى الله الخالق، كالحركة والسكون والقِيام والقعود، والذهاب والمجيء، والتَحَيُّز في **أو** على مكان، والأعضاء كاليد والوجه والأصابع.

[78] **المُعْتَزِلَة** فرقة ضالّة، شيخها الأول واصل بن عطاء (ت 131 هـ)، **مِن عقائدها:**

- قالوا بالمنزلة بين المنزلتين، أي بين منزلتيّ الكُفر والإيمان، فمرتكب الكبيرة، كشارب الخمر، على مذهبهم لا مؤمن ولا كافر، بل فاسق، - وقالوا بخلود مُرتكب الكبيرة في النار إذا مات ولم يَتب منها، - وجمهورهم أنكرَ القَدَر، ولأجل هذا سمّاهم المسلمون أيضاً قدَرِيّة، - ونفوا الصفات الذاتيّة لله، كالقُدرة والمشيئة والكلام والسمع والبَصَر، - وقالوا: كلامُ الله مخلوق، - ونفوا رؤية اللهِ في الآخرة.(المرجع: "الفرق بين الفرق" للإمام أبي منصور البغدادي، ص 90 بتحقيق محمد محيي الدين، طبعة دار الطلائع، القاهرة، 2005).

[79] **الجَهْمِيّة**، نِسبة إلى جَهْم بن صَفوان (قُتِل 128 هـ)، قالوا كلام الله مخلوق، ونفوا صفات الله، وأثبتوا لله فقط صفة الخلق والفِعل والإرادة (المرجع: "المِلل والنِّحل" للإمام الشهرستاني، جزء 1 / ص 109 مِن الكتاب المطبوع على هامش "الفِصَل في المِلل والأهواء والنِّحل" للإمام ابن حزم الأندلسي، الناشر: دار صادر، بيروت، وهذه الطبعة مصوّرة عن الطبعة الأولى التي صدرت عام 1317 هـ بالمطبعة الأدبية بمصر).

[80] **الجَبْرِيَّة**، هم أتباع مذهب الجَبْر، أنظر الحاشية رقم 75.

[81] **القَدَرِيَّة** هم نُفاة القَدَر، أنظر الحاشية رقم 76.

ترجمة مختصرة للإمام أبي حامد الغزالي[82]

رحمه الله

هو الإمام حُجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ولد بطوس سنة 450 هـ، تفقه بإمام الحرمين أبي المَعالي الجُوَيْني (ت 478 هـ) حتى برع في المذهب الشافعي والخلاف والأصلين (الكتاب والسُّنّة)، وقرأ الفلسفة، ورد على الفلاسفة في كتابه: "تهافت الفلاسفة" ، وكان إمام الحرمين يصفه بقوله: «بَحرٌ مُغدِق»، من مؤلفاته: المستصفى (في أصول الفقه) وإحياء علوم الدين، وشفاء العليل في بيان مسائل التعليل، وغير ذلك من الكتب في علوم شتى، توفي رحمه الله بطوس سنة 505 هـ.

مَتْنُ عقيدة الإمام أبي حامد الغزالي

المتوفي سنة 505 هـ رحمه الله

بسم الله الرّحمن الرّحيم

ترجمة عقيدة أهل السُّنّة في كَلمَتيّ الشهادة. معنى الكلمة الأولى: لا إله إلّا الله، فنقول وبالله التوفيق:

[الحَمْدُ للهِ المُبْدِئِ المُعِيد، الفَعَّالِ لِما يُرِيد، ذِي العَرْشِ[83] المَجِيد، والبَطْشِ الشَّدِيد، الهادي صَفْوَة العبِيدِ إلى المَنْهَجِ الرَّشيدِ والمَسْلَكِ السَّديد، المُنْعِم علَيْهِمْ بعد شهادةِ التَّوْحيدِ بِحِراسَةِ عقَائِدِهِمْ عنْ ظُلُماتِ التَّشْكيكِ والتَّرْديد، السَّالِكِ بِهِمْ إلى إتِّباع رسُولِهِ المُصْطَفى واقتِفاءِ آثَارِ صَحْبِهِ الأكْرَمينَ الْمُكَرَّمينَ بالتَّأييدِ والتَّسديد، الْمُتَجَلِّي لَهمْ في ذَاتِهِ وأفْعالِهِ بِمَحَاسِنِ أوْصافِهِ الَّتي لا يُدْرِكُها إلا مَنْ أَلْقَى السَّمْعَ وهُوَ شَهِيد، الْمُعَرِّفِ إيَاهُمْ أنَّه في ذَاتِهِ واحدٌ لا شَرِيكَ لهُ، فَرْدٌ لا مَثِيلَ لَهُ، صَمَدٌ لا ضِدَّ لَهُ، مُنْفَرِدٌ لا نِدَّ لَهُ، وأنَّهُ واحدٌ قَديمٌ[84] لا أوَّلَ له، أزَليٌّ لا بِدايةَ له، مُسْتَمِرُّ الوُجُودِ لا آخِرَ له، أبَدِيٌّ لا نِهاية له، قَيُّومٌ لا انْقِطَاعَ له، دائِمٌ لا انْصِرَامَ[85] له. لَمْ يَزَلْ ولا يَزَالُ مَوْصُوفاً بِنُعُوتِ الجَلال، لا يُقْضَى عليه بالانْقِضاءِ والانْفِصالِ بِتَصَرُّمِ الآبادِ وانْقِرَاضِ الآجَالِ، بَلْ ﴿ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ وهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ ﴾[86].

[82] **المرجع**: "تاريخ التشريع الإسلامي" للشيخ محمد الخضَري بك ، الناشر: دار الفكر، ط 7، بيروت 1981.

[83] " ذي العرش ، أي صاحب العرش، أي مالكه ومُدَبّره ومُنشئه " (مِن شرح أبي العباس أحمد بن زرّوق الفاسي على عقيدة الإمام الغزالي، مِن الطبعة المُشار إليها في صفحة 5).

[84] معنى كلمة **قديم** في علم العقيدة **الأزَلي**، أيْ الذي لا بداية لوجوده.

[85] أي لا انقطاع ولا تناهي لوجوده.

[86] سورة الحديد: آية رقم 3.

التَّنْـزِيه[87]:

وأنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ[88] مُصَوَّرٍ ولا جَوْهَرٍ مَحْدُودٍ مُقَدَّرٍ، وأنَّـهُ لا يُمَاثِلُ الأجْسامَ لا فـي التَّقديرِ ولا فـي قَبُولِ الانْقِسامِ، وأنَّهُ لَيْسَ بِجَوْهَرٍ ولا تَحُلُّهُ الجَوَاهِرُ، ولا بِعَرَضٍ[89] ولا تَحُلُّـهُ الأعْرَاضُ، بل لا يُمَاثُلُ مَوْجُوداً ولا يُماثِلُهُ مَوْجُودٌ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾[90] ولا هو مِثْل شيءٍ.

وأنَّهُ لا يَحُدُّهُ المِقدارُ ولا تَحْوِيهُ الأقْطَارُ ولا تُحيطُ بِهِ الجِهاتُ ولا تَكْتَنِفُـهُ الأرْضُونُ ولا السَّماوات. وأنَّـهُ مُسْتَوٍ[91] على العَرْشِ على الوَجْهِ الَّذي قَالَهُ وبِالمَعْنَى الَّذي أرادَهُ، اسْتِوَاءً مُنَزَّهاً عنِ المُمَاسَّةِ والاسْتِقرارِ والتَّمَكُّنِ والْحُلُولِ والانْتِقَالِ[92]. لا يَحْمِلُهُ العَرْشُ بل العرْشُ وحَمَلَتُـهُ مَحْمُولُونَ بِلُطْفِ قُدْرَتِـهِ ومَقْهُورُونَ في قَبْضَتِه[93].

---

87 **التَّنْزِيهُ** هو التَّسبيحُ والتَّقديس والتَّعظيمُ عمّا لا يليق بربوبية وأُلوهيّة الله، سُئِلَ الرسول ﷺ عن معنى "سبحان الله"، فقال ﷺ: « تنزيهُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عن كُلِّ سوء»*، **فالتسبيحُ** هو التّنزيه، والتنزيه هو تعظيمُ اللهِ بنَفْي النقائص عنه وإثبات صفات الكَمَال له تعالى.

* أخرجه الإمام أبو بكر البَيْهَقي (ت458 هـ) بإسناده في كتابه "الأسماء والصفات"، ص 55 بتعليق الشيخ الكَوْثري. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت 2001 .

88 نفي الجِسْميّة عن الله يستلزمُ نَفْيَ التَّركيب في ذاته، سواء أكان التَّركيب مِن أعضاء أو مِن غير ذلك.

89 **العَرَضُ** هو الصفة القائمة بالجَوْهر والجِسم. ولقد نَفَى الإمام الغزالي الجِسْمِيةَّ والجَوْهَرية والعَرَضِيّة عن ذات الله، لأنّ هذه الأشياء المذكورة حادثة، مخلوقة.

90 سورة الشورى: آية رقم 11.

91 الأفضل عدم استخدام كلمة " مُسْتوٍ "، وهي صيغة صفة، حيث لم ترد في القرآن الكريم ولا في السُّنّة النَبَويّة، والذي وَرَدَ: " استوى " بصيغة الفِعل.

92 لقد اتَّبَعَ الإمام الغزالي **مذهب التّفويض** حِيالَ آيات الإستواء الواردة في القرآن الكريم، فأثبت اللفظ وفوَّضَ معناه إلى الله، حيث قال الإمام الغزالي رحمه الله: « وبِالمَعْنَى الَّذي أَرَادَهُ »، والإمام الغزالي رحمه الله لم يترك مَجالاً لتحريف معنى كلامه بخصوص الإستواء، حيث وضّحَ وصَرّحَ بأنّ مفهومه للإستواء ليس بمعنى المُمَاسّة بين الخالق والمخلوق (العرش)، وليس بمعنى الاستقرار عليه، وليس بمعنى التمَكُّن والحُلول فيه، ولا بمعنى الانتقال مِن مكان إلى مكان، فكُلُّ هذه الأمور المذكورة: المُماسّة والاستقرار، أو الجلوس، والحُلول والانتقال مِن صفات المخلوقات، وليست مِن صفات الخالق. ومِن الأئمة الذين اتبعوا مذهب التفويض حِيال آيات الإستواء **الإمام الشافعي** رحمه الله، حيث قال عندما سُئِل عن الاستواء: « آمنتُ بلا تشبيه، وصَدقتُ بلا تمثيل، واتّهَمتُ نفسي في الإدراك، وأُمسكُ عن الخوْض فيه كل الإمساك » ("شرح عقيدة الإمام الغزالي"، ص 64). وسُئِلَ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن الاستواء فأجاب: « الاستواءُ كما أخبر لا كما يخطر للبشر » (المرجع السابق)، **قوله:** « لا كما يخطر للبشر » هو نفيٌ صريحٌ للمعنى المُتبادر إلى الذهن مِن لفظ الاستواء، أي نفيٌ للمعنى المفهوم منه في حقِّ البشر، وهو الجلوس، أو الإرتفاع الحِسّي على الشيء أو الاستقرار عليه. وجاء في "طبقات الحنابلة" (مجلد 2 / ص 256، طبعة دار الكتب العلمية، ط 1) أيضا عن **الإمام أحمد بخصوص الاستواء ما نصه:** « وكان - الإمام أحمد - يقول في معنى "الاستواء": هو العُلُوُّ والارتفاع، ولم يَزَلِ اللهُ تعالى عالياً رفيعاً قبل أنْ يخلق عرشه، فهو فوق كلّ شيء والعالي على كلّ شيء. وإنما خَصَّ اللهُ العرشَ لمعنى فيه مُخالفٌ لسائر الأشياء، والعرشُ أفضل الأشياء وأرفعها. فامتدح اللهُ نفسَه بأنه على العرش استوى، أي عليه علا. **ولا يجوز أن يُقال:** استوى بمُماسّة ولا بملاقاة، تعالى اللهُ عن ذلك علواً كبيرا. **واللهُ تعالى لم يَلْحَقهُ تَغَيُّرٌ ولا تَبَدّل، ولا يلحقه الحدود قبل خَلْقِ العرش ولا بعد خَلْقِ العرش.** وكان يُنكر على مَن يقول: إنّ اللهَ في كُلِّ مكان بذاته، لأنّ الأمكنة كلها محدودة » ، فالاستواء عند الإمام أحمد رحمه الله هو العُلُوُّ **المَعْنَوي**، وليس الحِسّي، وهذا واضح في قوله: « ولا يجوز أن يُقال: استوى بمُماسّة ولا بملاقاة »، فالمُمَاسّة هي مِن لوازم الاستقرار والجلوس والجِسْمِيّة، والملاقاة هي المُواجهة والمُقاربة مع وجود مسافة. فنفيُ المُماسّة والملاقاة بخصوص الاستواء على العرش يستلزم نَفْيَ الاستقرار والجلوس عليه ونَفْي الجِسْمِيّة عن ذات الله. وهناك أيضاً **مذهب التّأويل** بخصوص الاستواء، وتأويله: **الاستيلاء** والقَهْر، أو ارتفاعُ ذِكْرِ اللهِ على العرش. وكلا المذهبين، **التّفويض والتأويل**، مِن مذهب أهل السُّنة. وهنالك **مذهبٌ أخر**، وهو الأخذ بظاهر النَّص دون الاعتبار بعين الاعتبار لأساليب اللغة العربية في الخطاب مِن مَجاز وكِناية وإضمار، وغير ذلك. ويُمثل هذا المذهب **المُجَسِّمَة**، ففسروا الاستواء بارتفاع الله الحِسّي على العرش والاستقرار (الجلوس) عليه، كَوْنهم فهموا مِن كلمة "العرش" **فقط** سرير المَلِك، وبما أنّ اللهَ مَلِكُ المُلوك، وَوَرَدَ في القرآن الكريم ﴿الرَّحْمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى ﴾ فهموا مِن ذلك أنّ اللهَ ارتفع فوق العرش واستقرَّ (جلسَ) عليه، تعالى اللهُ عن ذلك عُلُوّاً كبيرا.

93 "مقهورون في قبضته" هو كناية عن مُطلق السيطرة، لا أنّ لله قبضة، بها يقبض! سبحانه عن الأعضاء والحدود.

وهو فَوْقَ العَرْشِ والسَّماءِ وفَوْقَ كُلِّ شَيءٍ إلى تُخُومِ الثرَى، فَوْقِيَّةً لا تَزِيدُهُ قُرْباً إلَى العَرْشِ والسَّمَاءِ كَما لا تَزِيدُهُ بُعْداً عنِ الأرْضِ والثَّرَى[94]. بل هو رَفِيعُ الدَّرَجاتِ عنِ العَرشِ والسَّمَاءِ كما أنَّهُ رفيعُ الدَّرجاتِ عنِ الأرْضِ والثَّرى. وهو مَعَ ذلِكَ قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ مَوْجُود[95]، وهو أقْرَبُ إلَى العَبْدِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيد ﴿على كُلِّ شَيءٍ شَهِيداً ﴾[96]، إذْ لا يُمَاثِلُ قُرْبُهُ قُرْبَ الأجْسَامِ كما لا تُمَاثِل ذَاتُهُ ذَاتَ الأجْسامِ، وأنَّهُ لا يَحُلُّ في شيءٍ ولا يَحُلُّ فيه شيءٌ. تعالى عن أنْ يَحْوِيهُ مكانٌ كما تَقَدَّسَ عن أنْ يَحُدُّهُ زمان، بل كان قَبْلَ أنْ خَلَقَ الزَّمانَ والمكانَ وهو الآنَ على ما عليه كان[97]. وأنَّهُ بائِنٌ عن خَلْقِهِ بِصِفاتِهِ، لَيْسَ في ذَاتِهِ سِوَاهُ،

---

[94] كما هو واضح، مقصود الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللهُ بفوقية الله على الأشياء **الفوقية المعنوية**، كَوْنه نَزَّهَ اللهَ عن الأمْكِنة (الأقطار) والجهات، والاستقرار على العرش.

[95] كلام الإمام الغزالي هذا هو في معنى قول الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ: « وليسَ قربُ اللهِ تعالى ولا بُعدُهُ مِن طريقِ طولِ المسافةِ وقِصَرِها، ولكن على معنى الكرامةِ والهوان ».

[96] سورة النساء: آية رقم 33.

[97] هذا الكلام مقتبسٌ مِن قول الخليفة الراشد **عليّ بن أبي طالب** رَضِيَ اللهُ عنه، حيث قال: « قد كان - اللهُ- ولا مكان، وهو الآن كما كان »، ذَكَرَ ذلك عنه الإمام أبو منصور البغدادي في كتابه "الفَرْقُ بين الفِرَق"، ص 356 مِن طبعة مكتبة دار التراث، القاهرة، **أو** ص 248 مِن طبعة دار الطلائع، القاهرة 2005. **الجزء الأول** مِن الكلام: « قد كان - اللهُ- ولا مكان» هو في معنى قول الرسول صَلَّى اللهُ تعالى عليه وسلّم: «كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيرُه » (رواه البخاري في صحيحه برقم **3191**)، والمعنى أنه لم يكن شيءٌ موجوداً سوى الله، فلم يكن ماءٌ ولا هواء ولا عرش ولا أرض ولا سماوات. وأول المخلوقات الماء، خلقهُ الله مِن العَدَم، ثُمّ العرش، ثم القلم. **والجزء الثاني** مِن الكلام: « وهو الآن كما كان » معناه أنه لم يطرأ تغييرٌ على الله وصفاته بعد خلقه للمخلوقات، وخصوصا العرش، **وقال الإمام الشافعي** (ت 204 هـ) رَحِمَهُ اللهُ: « أنَّه تعالى كان ولا مكان، فخلق المكان **وهو على صفته الأزليَّة كما كان** قبل خلقه المكان، لا يجوز عليه التغيّيرُ في ذاته ولا التَّبديلُ في صفاته »، ذَكَرَ ذلك الإمام محمد مرتضى الزبيدي في كتابه "إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين" ، مجلد 2 / ص 24 ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت 1994 .وقول الإمام الشافعي الآنف الذِكْر هو في معنى قول **الإمام أبي حنيفة** رَحِمَهُ اللهُ في كتابه "الفقه الأكبر": « لم يزلْ ولا يزالُ بأسمائه وصفاتِهِ، لم يحدُث له اسمٌ ولا صفةٌ »، **فصفاتُ الله لا تتبدل ولا يحدث له صفات لم تكن له من قبل.**

فلو حدثت له صفة لم تكن له مِن قبْل، كالتَّحَيُّزِ على العرش، **فإمّا** أنْ تكون هذه الصِفة صفة نَقْص، **أو** أنْ تكون صِفة كمال. **فإذا** كانت صفة نقص فلا يجوز أن يتصف اللهُ بها بحال لأنّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن الإتصاف بالنقائص. **وإذا** كانت صفة كمال، فهذا يعني أنّ اللهَ لم يَكُن متصفاً بهذه الصفة الكماليّة مِن قَبْل، ولازم هذا القول هو أنَّ ذاتَ الله كان ينقصها صفة كمال، وهذا باطلٌ لأنّ الله الخالق لم يزل ولا يزال مُتّصِفاً بالكمال ومُنَزّهاً عن النقائص، وعلى هذا يَتَبَيَّن استحالة تحَيُّز الله على العرش . **والحقيقة** هي أنّ التَّحَيُّزَ على العرش، أي الجلوس أو الإستقرار عليه، صفة نقص، لأنه لو تحَيَّزَ الله بعد خلقه العرش بأن جلس عليه، **لأصبح محدوداً**، كون العرش محدوداً، وهذا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ﴾، ومعناه أنه لا بداية ولا نهاية له، والذي ليس له بداية ولا نهاية فهو غير محدود. وعلاوة على ذلك: لا يُعقل أنْ يخلِقَ اللهُ لذاته غير المحدودة مكاناً محدوداً (العرش) ليستقرَّعليه، ولهذا المعنى **قال** الإمام أحمد بن حنبل: « واللهُ تعالى لَم يَلْحَقهُ تغيّرٌ ولا تبَدل، **ولا يَلحقهُ الحدود** قبل خَلْقِ العرش ولا بعد خَلْقِ العرش »*، **ومعنى** ذلك هو أنّ اللهَ مُنَزَّهٌ عن الحَدِّ مُطلقا وأنّ صفاته أزَلِيّة وأبدية كذاته.

* ("طبقات الحنابلة" مجلد 2 / ص 256 مِن طبعة دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1997).

وبناءً على ذلك نقول نحن أهل السُّنّة لمن نَسَبَ لله صفة التّحَيُّز، أي الجلوس أو الاستقرار على العرش: لقد نَسَبتَ للهِ الخالق صفة نقص، ونِسبَةُ النّقص إلى اللهِ كُفر.

ومختصر الحديث هو أَنّ اللهَ لم يزل ولا يزال موجوداً بلا مكان، فوجوده ليس كوجود المخلوقات. وفيما يلي المثال التالي لتقريب ذلك للفَهم: النور (النهار) والظلام (الليل) مخلوقان كباقي المخلوقات، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ الْحَمْدُ للهِ الَّذي خَلَقَ السّماواتِ والأرضَ وَجَعَلَ الظُّلُماتِ والنُّورَ ﴾ [سورة الأنعام: آية رقم 1]. فاللهُ سبحانه وتعالى خَلَقَ الظلمات والنور بعد أن كانا معدومين، وهذا يعني أنّه كان هناك حالة مخلوقة بدون ظلام وبدون نور، ولكننا لا نستطيع تصوّر تلك الحالة المخلوقة لأنّ العقلَ قد تعوّد على حالة واحدة فقط: إما ظلام (ليل) وإما نور (نهار). ومع ذلك يجب علينا أن نؤمن أنّ تلك الحالة المخلوقة بدون ليل وبدون نهار كانت موجودة مع عدم قدرة العقل على تصوّرها، فالأحرى، ﴿ وَللهِ المَثَلُ الأعلى ﴾، أنْ لا يُدرك العقلُ تصَوُّرَ وجود الله الخالق بدون مكان وزمان، نؤمن بذلك بدون السؤال: كيف ؟ سبحانه خالق المكان والزمان والأجسام والأعضاء.

وهنالك نصوص شرعية تُنَزِّهُ الله عن المكان: 1. قوله تعالى: ﴿هُوَ الأوّلُ والآخِرُ ﴾، ومعناه أنه غير محدود (راجع الحاشية رقم **23** إنْ شئت)، ولو تحَيَّزَ اللهُ بعد خلقه العرش بأن جلس عليه، لأصبح محدوداً، كَوْن العرش محدوداً، والتغيّر في ذات الله مستحيل. **وقوله تعالى:** ﴿هُوَ الأوَّلُ والآخِرُ﴾ موافق أيضا لمعنى قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾، فكُلُّ مولود حادث، له بداية ونهاية، وكل حادث مخلوق، وكلّ مخلوق محدود ومُتَحيِّز لا مَحالة، فقوله تعالى ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ هو نفيٌ صريح للحدّ والمكان عن الله، فالله سبحانه وتعالى موجود بلا مكان، نؤمن بذلك دون السؤال بكيف.

يتبع ←

ولا سِوَاهُ في ذَاتِه، وأنَّـهُ مُقَدَّسٌ عنِ التَّغَيُّرِ والانْتِقَالِ، لا تَحُلُّـهُ الحَـوادِثُ ولا تَعْتَرِيـهُ العَـوَارِضُ، بل لا يَزَالُ فِي نُعُوتِ جَلالِهِ مُنَزَّهاً عنِ الزَّوَالِ، وفِي صِفاتِ كمالِهِ مُسْتَغْنِياً عنْ زِيادَةِ الاسْتِكْمال، وأنَّـهُ فِـي ذَاتِـهِ مَعْلومُ الوجودِ بالعقول، مَرْئِيُّ الذَّاتِ بالأبْصارِ نِعمَةً مِنهُ ولُطْفاً بالأبْرارِ في دارِ القَرارِ، وإتْماماً مِنهُ لِلنَّعيمِ بِالنَّظَرِ إلى وجْهِهِ الكريمِ[98] .

الحياةُ والقُدْرَة:

وأنَّهُ تعالى حَيٌّ قَادِرٌ جَبَّارٌ قَاهِرٌ لا يَعْتَرِيهِ قصُورٌ ولا عَجْزٌ، ولا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ، ولا يُعَارِضُهُ فنَاءٌ ولا مَوْتٌ، وأنَّهُ ذو المُلْكِ والْمَلَكُوتِ والعِزَّةِ والجَبَرُوت، لـه السُّلطَانُ والقَهْرُ، والْخَلْقُ والأمْرُ، والسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمينِه[99] ، والخَلائِقُ مَقهُورُونَ في قَبْضَتِه[100] . وأنَّهُ المُنْفَرِدُ بِالخَلْقِ والاخْتِراعِ، المُتَوَحِّدُ بِالإيجادِ والإبْداعِ، خَلَقَ الخَلْقَ وأعمالَهُمْ، وقَدَّرَ أرزاقَهُمْ وآجالَهُمْ، لا يَشِذُّ عنْ قَبْضَتِهِ مَقدُورٌ، ولا يَعْزُبُ عنْ قدْرَتِهِ تَصَارِيفُ الأمُورِ، لا تُحْصَى مَقدُوراتُهُ ولا تَتَنَاهى معلوماتُهُ.

⟵**2. وقال** الرسول ﷺ: « وأنتَ الظاهرُ فلَيْسَ فوقكَ شيءٌ وأنت الباطنُ فليس دُونَك شيءٌ » (صحيح مسلم برقم **2713**)، **فإذا** لم يكن فوقَ اللهِ شيءٌ، وليس تحته شيءٌ بِنَصِّ الرسول عليه الصلاة والسلام فهو موجودٌ بلا مكان. وإذا لم يَكُن تحت الله شيءٌ فهو ليس فوق العرش فَوْقِيّة مكانية، بل فوقية الربوبية، فهو رَبُّ كُلِّ شيء: ﴿ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ﴾، وفوقية الأُلوهيّة، فهو إلـهُ كل شيء: ﴿ قُلْ إنّما يُوحَىَ إليَّ أنّمآ إلهُكُمْ إلـهٌ واحدٌ فَهَلْ أنتُم مُّسْلمونَ﴾، وفوقية العَظَمَة والسُّلطان والقَهْر: ﴿ وَهُوَ القاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ ﴾ .

3. وقال الرسولُ ﷺ: « أُذِنَ لي أن أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ قد مَرَقتْ رِجلاهُ الأرض السابعة والعرشُ على مَنكِبه وهو يقول: **"سُبْحانك أين كنت وأين تكون " »*.**

قَوْلُ المَلَكِ: «**سُبحانك أين كنت** » هو تنزيهٌ لله عن المكان في الأزل، وسبحانك « أين تكون » هو تنزيهٌ لله عن المكان في الحاضر والمستقبل. فالله لم يزل ولا يزال مُنزّهاً عن المكان. فالمكانُ مخلوقٌ وللمخلوق، والله هو الخالق ومُنزّهٌ عن سِمات الخَلْق. وفيما ذُكِر مِن الأدلة الشرعية والعقلية على تنزيه الله عن المكان كفاية، واللهُ وحده الهادي إلى الصراط المستقيم.

*رواه الإمام أبو يعلى الموصليّ في مُسنَده بسند **صحيح** عن أبي هريرة رضي الله عنه (**أنظر** "مُسنَد أبي يعلى الموصلي"، رقم الحديث **6588**، مجلد 5 / ص 503 – 504 بتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت 1998. وقد صَحّحَ هذا الحديث الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في "المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية" (رقم الحديث **3453**)، مجلد 8 / ص 82 مِن الطبعة التي جُمع فيها كتاب "المطالب العالية" لإبن حجر العسقلاني وكتاب "إتحاف الخِيَرَة المهَرة بزوائد المسانيد العشرة" للحافظ البوصيري في كتاب واحد، الناشر: دار الكتب العلمية، ط 1 ، بيروت 2003 . وقد صحّحَ الحديث أيضا الحافظ نور الدين الهَيْثمي في "مَجمعُ الزوائد ومنبعُ الفوائد" له، فقال: « رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح »، (جزء 8 / ص 138)، الناشر: مؤسّسة المعارف، بيروت 1986).

98 المُراد بوجه الله **ذات** الله، وهذا هو تفسير الأئمة الصحابي ابن عباس[1] رضي الله عنهما والضَّحاك بن مُزاحم[2] (ت 102 هـ) ومجاهد بن جبر[3] (ت 104 هـ)، وغيرهم مِن كِبار علماء أهل السُّنّة، كأبي منصور البغدادي وابن الجَوْزي والقاضي أبي بكر الباقلاني وابن الجوزي وفخر الدين الرّازي ومحيي الدين النَّوَوي (شارح صحيح مسلم).

(1) أنظر تفسير الإمام القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجَلالِ والإكْرامِ ﴾ [سورة الرحمن: آية رقم 27].

(2) "دفع شُبه التّشبيه" للإمام ابن الجَوْزي، ص 113 مِن طبعة دار الإمام النَوَوي، ط 3، عَمّان 2005.

(3) أنظر تفسير الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلّا وجْهَهُ ﴾ [سورة القصص: آية رقم 88]. **والمقصود بالآية أعلاه: كُلُّ شيءٍ فانٍ إلّا الله.**

99 المقصود باليمين القدرة وليس الجارحة (العضو).

100 القبضة كِناية عن السَّيطرة التامة، والإمام الغزالي نزَّهَ الله عن الجِسْمِيّة، ومن لوازمها التّركيب مِن أعضاء وغيرها، والحَدّ والتَّحيُّز (الوجود في أو على مكان)، فَنَفْيُ الجِسْمِيّة يستلزم نفي التّركيب والحَدّ والمكان.

العِلْم:

وأنهُ عالمٌ بجميع المعلومات، مُحيطٌ بما يَجري مِن تخوم الأرضين إلى أعلى السَّماواتِ. وأنّهُ عالمٌ لا يَعزُبُ عن عِلمِه مِثقالُ ذرَّة في الأرضِ ولا في السّماء، بل يَعلمُ دَبيبَ النّملة السَوْداء على الصَّخرة الصَّماء في الليلة الظلْماء، ويُدْرِكُ حركة الذَّر في جو الهواء، ويَعلمُ السِرَّ وأخفى، ويَطّلِعُ على هواجس الضّمائر وحركات الخواطر وخفيّاتِ السَرائِر بعلمٍ قديم أزَليّ لم يزلْ موصوفاً به في أزَل الآزال، لا بعلم مُتجَدِّد حاصل في ذاتِه بالحُلُول والانتقال.

الإرادة:

وأنه تعالى مُريدٌ للكائنات، مُدبِّرٌ للحادثات، فلا يَجري في المُلْكِ والمَلَكوت قليلٌ أو كثير، صغيرٌ أو كبير، خيرٌ أو شر، نفعٌ أو ضر، إيمانٌ أو كُفر، عرفان أو نُكر، فوزٌ أو خسران، زيادة أو نُقصان، طاعة أو عِصيان، إلا بقضائِه وقَدَره وحِكْمته ومشيئَته، فما شاءَ كان وما لم يشأ لمْ يَكُن. لا يخرجُ عن مشيئَته لفتةُ ناظر ولا فلتة خاطر، بل هو المُبْدِئ المُعيدُ، الفَعّالُ لِمَا يُريد، لا رادَّ لأمْرِهِ ولا مُعَقِّب لقضائه، ولا مَهرب لعبدٍ عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته، ولا قوة له على طاعته إلا بمشيئته وإرادته، فلو اجتمع الإنسُ والجنُّ والملائكة والشياطين على أنْ يُحَرِّكوا في العالم ذرّةً أو يُسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك.

وأنَّ إرادتَه قائمةٌ بذاته، في جملة صفاته، لم يزلْ كذلك موصوفاً بها، مُريداً في أزَلِه لوجود الأشياء في أوقاتها التي قَدّرَها، فَوُجِدَت في أوقاتها كما أرادَ في أزَلِه مِن غير تقدمٍ ولا تأخُّر، بل وقعت على وفق عِلمِهِ وإرادته مِن غير تَبَدّل ولا تغيّر. دَبَّرَ الأمورَ لا بترتيبِ أفكارٍ ولا ترَبص زمان، فلذلك لم يشغله شأن عن شأن.

السّمعُ والبَصر:

وأنه تعالى سميعٌ بصيرٌ يَسمعُ ويَرَى، ولا يَعْزُبُ عن سمعه مَسموعٌ وإنْ خَفِيَ. ولا يَغيبُ عن رؤيته مَرْئِيٌّ وإنْ دَقَّ. ولا يَحْجبُ سمْعَهُ بُعْدٌ ولا يَدفعُ رؤيتَهُ ظلامٌ. يَرَى مِن غير حدقة وأجفان، ويَسمعُ مِن غير أصْمِخَةٍ[101] وآذان، كما يَعلمُ بغير قلب، ويَبْطشُ بغير جارحة، ويَخلُقُ بغير آلة، إذ لا تُشْبِهُ صفاتُهُ صِفاتَ الخَلْقِ كما لا تُشبه ذاتُهُ ذواتَ الخَلْق.

الكلام:

وأنّه تعالى مُتكلمٌ، أمرٌ ناهٍ، واعدٌ مُتَوَعّدٌ بكلامٍ أزَلِيٍّ قديمٍ قائمٍ بذاتِه، لا يُشبهُ كلامَ الخَلْق، فليس بصوتٍ يَحْدُثُ مِن انسلال هواء أو اصطكاك أجْرام، ولا بحرفٍ ينقطعُ بإطباق شَفَةٍ أو تحريك لسان.

وأنَّ القرآنَ والتوراةَ والإنجيلَ والزَّبورَ كُتُبُهُ المُنَزّلة على رُسله عليهم السلام. وأنَّ القرآنَ مَقروءٌ بالألسنة مكتوبٌ في المصاحف مَحفوظٌ في القلوب، وأنّه مع ذلك قديمٌ قائمٌ بذات الله تعالى لا يقبلُ

---

101 " أصْمِخَة جَمْعُ صِماخ وهو قناةُ الأذن التي تُفضي إلى طبلته" ("شرح عقيدة الإمام الغزالي"، ص 107، حاشية رقم 2).

الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق.

وأنَّ موسى عليه السلام سمعَ كلامَ اللهِ بغير صَوْتٍ ولا حَرْف، كما يَرَى الأبْرارُ ذاتَ اللهِ تعالى في الآخرة مِن غير جَوْهَرٍ ولا عَرَض.

وإذا كانت له هذه الصفات كان حياً عالماً قادراً مُريداً سميعاً بصيراً مُتكلماً بالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذّات[102].

الأفعال:

وأنه سُبحانه وتعالى لا موجود سِواه إلا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمّها وأعدلها. وأنه حكيمٌ في أفعاله عادلٌ في أقضيته، لا يُقاسُ عدلُهُ بعدل العباد، إذ العبدُ يُتَصَوّر منه الظُلم بتصرفه في مُلك غيره، ولا يُتَصَوّرُ الظلمُ مِن الله تعالى فإنه لا يُصادِفُ لغيره مُلْكاً حتى يكون تَصَرُّفُه فيه ظُلماً، فكلُّ ما سواه مِن إنسٍ وجِنّ ومَلَكٍ وشيطانٍ وسماء وأرضٍ وحيوان ونباتٍ وجمادٍ وجَوْهَرٍ وعَرَضٍ ومُدْرَكٍ ومَحسوسٍ حادثٌ اخترعهُ بقدرته بعد العَدَم اختراعاً وأنشأهُ إنشاءً بعد أنْ لم يَكُن شيئاً، إذ كان موجوداً وحده ولم يكن معَهُ غيرُه[103]، فأحْدثَ الخَلْقَ بعد ذلك إظهاراً لقدرته وتحقيقاً لِمَا سَبقَ مِن إرادتِه ولِما حَقَّ في الأزل مِن كلمته لا لافتقاره إليه وحاجته. وأنه متفضلٌ بالخَلْقِ والاختراع والتكليف لا عن وجوب، ومُتَطَوّلٌ بالإنعام والإصلاح لا عن لزوم. فله الفضلُ والإحسان والنعمة والامتنان، إذ كان قادراً على أنْ يَصبَّ على عباده أنواع العذاب ويَبتليهم بضروب الآلام والأوصاب[104]، ولو فعَلَ ذلك لكان مِنهُ عدلاً ولم يكن منه قبيحاً ولا ظلماً. وأنه عز وجل يُثيبُ عبادَه المؤمنينَ على الطاعات بِحُكم الكَرم والوَعْد لا بِحُكم الاستحقاق واللزوم له، إذ لا يجبُ عليه لأحدٍ فِعلٌ ولا يُتَصوّرُ منه ظلمٌ ولا يجبُ لأحد عليه حقٌّ. وأنَّ حقّهُ في الطاعات وَجَبَ على الخَلْقِ بإيجابه على ألسِنَة أنبيائِه عليهم السلام لا بمجرد العقل، ولكنه بعث الرُسُلَ وأظهرَ صدقهم بالمعجزات الظاهرة، فبَلّغوا أمرَه ونهيَهُ ووعدَه ووعيده، فوجبَ على الخَلْقِ تصديقُهم فيما جاؤوا به.

معنى الكلمة الثانية:

وهي الشهادةُ للرسل بالرسالة وأنّهُ بعثَ النبيَّ الأميّ القرشي محمداً صلى الله عليه وسلم برسالته إلى كافة العرب والعَجَم والجِنّ والإنس فنَسَخَ بشريعته الشرائعَ إلا ما قَرَّره منها. وفَضّلَهُ على سائر الأنبياء

---

102 كلام الإمام الغزالي هذا هو ردٌّ على المعتزلة الذين نفوا صفات الله الأزلية كالعِلم والقدرة والسّمع، فقالوا: اللهُ سميعٌ بذاته وليس بصفة السَّمع، والله قادرٌ بذاته وليس بصفة القدرة، إلى آخره. وعقيدة أهل السُّنة تُثبت صفات الله الأزلية، وتنُصُّ على أنّ اللهَ سميعٌ بصفة السّمع الواجبة له، وقديرٌ بصفة القدرة الواجبة له، وعالمٌ بصفة العِلم، إلى آخره. ولقد أثبت اللهُ لذاته صفة العِلم فقال جَلّ ثناؤُه: ﴿ أنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾، وقال اللهُ عزّوجلّ: ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلّا بِمَآ شَاءَ ﴾ ، وقال الرسول ﷺ في دعاء الإستخارة: «اللّهُم إني أستخيرك **بعلمك**، وأستقدرك **بقدرتك**... »، أخرجه الحافظ البيهقي بإسناده في كتابه "الأسماء والصفات"، ص 147 بتعليق الشيخ المُحَدِّث الكَوْثري.

103 كلام الإمام الغزالي هذا مقتبسٌ من حيث الرسول عليه الصلاة والسلام: « كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيرُه »، رواه الإمام البخاري في صحيحه (برقم **3191**)، وفي الحديث إشارة إلى نَفْي قِدَمِ العالم، وقِدَمُ العالم هو مذهب الفلاسفة.

104 "الأوصاب، جمع وَصَب، وهو الوجع والمَرض" (" شرح عقيدة الإمام الغزالي"، ص 125، حاشية رقم 1).

وجعلهُ سَيِّدَ البَشر. ومنعَ كمالَ الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول "لا إله إلّا الله" ما لم تقترنْ بها شهادة الرسول وهو قولك "محمد رسول الله" وألزمَ الخَلْقَ تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة. وأنه لا يُتَقبّلُ إيمانُ عبدٍ حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموْت، وأوّله: سؤالُ مَنْكَرٍ ونَكِير وهما شخصان مهيبان هائلان يُقعدان العبدَ في قبره سوياً ذا روح وجسد، فيسألانه عن التَّوحيد والرِّسالة ويقولان له: مَنْ رَبُّكَ وما دينُكَ ومَن نبيّك؟ وهما فتّانا القبر، وسؤالهما أوّلُ فِتنة بعد الموت. وأنْ يؤمن بعذاب القبر، وأنه حقٌّ وحُكمه عدلٌ على الجسم والروح على ما يشاء.

وأنْ يُؤمن بالميزان ذي الكفتين واللّسان وصفته في العِظَم أنّه مِثلُ طبقات السّماوات والأرض توزن فيه الأعمال بقدرة الله تعالى، والصنج يومئذ مثاقيل الذّر والخَردل تحقيقا لتمام العدل، وتوضعُ صحائِفُ الحسنات في صورة حسنة في كفة النّور فيثقلُ بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله، وتُطرحُ صحائِفُ السَّيئات في صورة قبيحة في كَفّة الظُّلْمَة فيخفُّ بها الميزان بعدل الله.

وأنْ يؤمن بأنّ الصراطَ حقٌّ وهو جسرٌ ممدودٌ على مَتْنِ جهنم، أحَدُّ مِن السّيف وأدَقُّ مِن الشعرة، تَزلُّ عليه أقدامُ الكافرين بحُكم الله سبحانه، فتهوي بهم إلى النّار، وتثبتُ عليه أقدامُ المؤمنينَ بفضل الله فيساقون إلى دار القرار. وأن يُؤمن بالحَوْض المَوْرود، حَوْض محمد صلى الله عليه وسلم، يشربُ منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط. مَنْ شربَ منه شُربة لم يظمأ بعدها أبداً، عرضه مسيرة شهر، ماؤهُ أشدّ بياضاً من اللّبَن وأحلى مِن العسل، حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء، فيه ميزابان يَصُبّان فيه مِن الكَوْثر. وأنْ يُؤمن بالحساب وتفاوتِ الناس فيه إلى مُنَاقشٍ في الحساب وإلى مُسَامَحٍ فيه وإلى مَنْ يدخل الجنة بغير حساب وهم المُقَرّبون. فيَسألُ اللهُ تعالى مَن شاء مِن الأنبياء عن تَبليغ الرسالة ومَن شاء مِن الكُفار عن تكذيب المرسلين، ويسألُ المُبْتَدِعَة عن السُّنّة، ويسألُ المسلمين عن الأعمال. وأنْ يَؤمن بإخراج المُوَحِّدين مِن النار بعد الانتقام حتى لا يَبقى في جَهنَّم مُوَحِّدٌ بفضل الله تعالى، فلا يَخلُدُ في النار مُوَحِّد[105]. وأنْ يؤمن بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين على حسب جاهِه ومنزلته عند الله تعالى، ومَن بقيَ مِن المؤمنين ولم يكن له شفيعٌ أُخْرِجَ بفضل اللهِ عزَّ وجلَّ فلا يَخلُدُ في النّار مؤمِنٌ، بل يخرجُ منها مَن كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ مِن الإيمان. وأنْ يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم وترتيبهم وأنّ أفضل الناس بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم. وأنْ يُحْسنَ الظنّ بجميع الصحابة ويُثني عليهم، كما أثنى اللهُ عزَّ وجلَّ ورسولُهُ صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين.

فكلُّ ذلك مِمّا وَردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمَن اعتقد جميع ذلك مُوْقِناً به كان مِن أهل الحقِّ وعصابة السُّنّة وفارَقَ رَهْط الضلال وحِزب البِدْعة. فنسأل الله كمالَ اليقين وحُسن الثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحمَ الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كُل عبد مصطفى].

انتهى مَتنُ عقيدة الإمام الغزالي رحمه الله.

---

105 قال النبي صلى الله عليه وسلم: « يَخْرُجُ قَوْمٌ مِن النَّار بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ فَيَدْخلونَ الجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ الجَهنَّمِيِّينَ »، رواه الإمام البخاري في صحيحه، برقم **6566**. وفي روايةٍ عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه جاء فيها أنه يُقال للجَهَنميِّين بعد مُكُوثهم في الجنّة مدة: «تشتهون شيئا؟ فيقولون: أنْ يُرفع عنّا هذا الاسم ، قال: فيُرْفَعُ عنهم»، أخرجه الحافظ أبو بكر البَيْهَقي بإسناده في كتابه "الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرَّشاد"، ص 107، طبعة دار ابن حَزْم، ط 1، بيروت 2003.

الفهرس